



الحب بلا أرقام

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الحب بلا ارقام

رباه هب لى من لدنك بلا بلاء
جنة فى الأرض يغشاها السـلام
لا قتال .. لا نضال .. لا إيذاء
لا دمع فيهـا .. لا تحصى الأيام
أرتوى من نبـع حب فى هناء
أسبح فى بحر وردى الأحـلام
اعيش عمرى بين فرح أو غنـاء
أذوق حـبى خالصاً ، بلا أرقام
(نبيـــل)

١ ـ أول لحظة حب ..

فتحت (شادن) عينيها فى تكاسل وخمول ، وكمشت عنقها بين كتفيها ، ومدت ذراعيها عن آخرهما ، وهى تستيقظ من نومها هذا الصباح . وافترّ ثغرها العـذب الرقيق عن ابتسامة حالمة ، وهى تتأمل جدران حجرتها وأثاثها ، وكأنها تراها لأول مرة ..

كان قلبهـا ينبض بالنشـوة والسعادة والحبور ، ووجهها يتألق بالبشر ، وهى تسترجع أحداث الليـلة السابقة ، التى بدت لها ، وهى تتثاءب فى كسل ، أجمل ليالى عمرها ..

وتداعت بها الذكريات إلى أسبوع سابق ..

إلى ذلك اليوم الذى رأت فيه (أحمد) لأول مرة ..

كانت تجلس فى شرفة منزلها ، تستمع إلى بعض الموسيقى ، حينما توقفت سيارة (أحمد) أمام المنزل ..

ما زالت تذكر كيف جذبتها وسامته وأناقته من النظرة الأولى ، وكيف تأملت وجهه المستدير الحليق ،

وفمه الصغير الرقيق ، وشعره البنيّ ، وهو يتطاير على جبينه ..

لقد ذكرها فى تلك اللحظة بممثل فرنسى شهير ، بلغت شهرته الآفاق بفضل وسامته ، وأناقته ، وخاصة حينما رأت عينى (أحمد) الشفافتين ، اللتين يقترب لونهما السماوى الفاتح من لون بياض العينين ، الذى يحيط بهما ..

وهو أيضاً تأملها فى انبهار ..

لقد اختلج قلبها بين ضلوعها ، وتصاعدت حمرة الخجل إلى وجنتيها ، وهو يتطلع إلى وجهها الجميل فى مزيج من الدهشة والإعجاب ..

توقفت ذكرياتها عند هذه النقطة ، وتدفقت الحيوية بغتة فى عروقها ، فنهضت من فراشها بنشاط ، ووقفت أمام مرآة حجرتها ، تتأمل وجهها الصبوح ..

أزاحت خصلة من شعرها الكستنائى عن جبينها ، وابتسمت لصورتها فى المرآة ..

كانت حقّاً جميلة ..

وجهها أقرب إلى الاستدارة ، يتألق ببشرتها الوردية ، ويبرز قليلا عند وجنتيها ، ثم يعود ليستدق بذقنها الرقيقة ..

عيناها نبع للحيوية والجمال والرقة ، فهما واسعتان ، حالمتان ، لهما لون فيروزى نادر ، يتألق تحت رموشها البنية الطويلة ، ويصرخ بالجاذبية ، حينما تسبل جفنيها فى حياء قلما يفارقها ..

وفمها قطعة من الجنة ..

قطعة تحاكى فاكهة الفردوس ، وثمار النعيم ..

وابتسامتها بهاتين الشفتين الحمراوين آسرة جذّابة ، لا يملك المرء إلا إجابتهما بابتسامة مشابهة ، تحمل اللهفة والشوق والانبهار ..

أما شعرها الكستنائى الناعم ، الذى ينسدل على كتفيها فى روعة ورقة ، فهو أعجوبة من عجائب الدهر ..

كانت فى مجملها قطعة نادرة ، من جمال خلق الله (سبحانه وتعالى) .

حتى اسمها كان نادراً ، لا تألفه الأذن بسهولة ..

(شادن) !! ..

اسم له رنين عجيب ، ووقع ناعم على الآذان ..

لهذا توقف (أحمد) يحدّق فى وجهها مبهوراً ..

ودون أن يدرى ابتسم لها فى هيام ..

وتضاعف شعورها بالحياء ، واصطبغ وجهها بحمرة الخجل فى شدة ، حتى بات من العسير تمييز شفتيها الحمراوين وسطه ..

وأسرعت إلى حجرتها ، وهى ترتجف ، وقد تنبهت إلى أنه ضبط عينيها متلبستين بتأمله ، وقضت فترة طويلة ، قبل أن يتوقف جسدها عن ارتعادة الخجل واللهفة ..

وظل وجه (أحمد) ماثلا أمامها طويلا ، بابتسامته الهائمة ، ووسامته المتألقة ..

وفى اليوم التالى فوجئت به ينتظرها داخل سيارته ، أمام باب منزلها ..

وفى نفس اليوم تقدم إليها يعرّفها بنفسه ، دون أن

يبالى بالحياء الشديد ، الذى ألجم لسانها ، وجعلها لا تجرؤ على النظر إليه ..

وعرفت عنه كل شىء ..

عرفت أنه حاصل على بكالوريوس التجارة منذ ثلاث سنوات ، وأنه يدير الآن شركة الاستيراد والتصدير التى يملكها والده ، والتى تعتبر ملكه هو بحكم كونه الابن الوحيد لهذا الوالد ، الذى أنجبه بعد سنوات طوال ، فصارت له عنده مكانة خاصة ..

وكشفت أنه يمتلك طبيعة عملية للغاية ، فهو لم يضع ذلك اليوم ، ما بين رؤيته لها فى الشرفة ، ومقابلته لها أمام منزلها عبثاً ، بل استغلها فى جمع كل المعلومات اللازمة عنها ..

عرف أنها أيضاً ابنة وحيدة لمهندس معروف ، وأنها طالبة بالسنة النهائية بكلية التجارة ، وأنها ــ وهذا هو المهم ــ غير مخطوبة ، أو متزوّجة ..

وفى بساطة ، وبأسلوب عملى جداً سألها أن تقبل الزواج منه ..

كادت تفقد وعيها أمام تلك المفاجأة ، التى باغتتها بعد يوم واحد من رؤيتها له ..

وأرادت أن تفرّ من أمامه ، وقد بلغ حياؤها مبلغه . ولكنها لم تفعل ..

تسمّرت قدماها ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، وانطلقت حرارة شديدة من وجهها ، الذى بدا وكأنه اجتذب دماء جسدها كله ..

واختلج قلبها فى شدة ..

اختلج حتى أنه نقل اختلاجته إلى جسدها كله ، فوقفت أمام (أحمد) ترتجف ، من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، وهو يخبرها فى هدوء أنه سيمنحها أسبوعاً للتفكير فى عرضه ، وسيكفيه أن تجلس فى شرفة منزلها فى الأربعاء التالى ، فى نفس الموعد ، ليعلم أنها قد وافقت ..

ثم تركها فى هدوء ، واستقل سيارته ، وابتعد دون أن يضيف حرفاً واحداً ..

وهنا رفعت عينيها لأول مرة ..

راقبت سيارته حتى اختفت فى نهاية الشارع ، ثم أسرعت إلى منزلها ، ولم تفارقها ارتجافتها بعد ، ولم تكد أمها تستقبلها ، وترفع حاجبيها فى دهشة لعودتها المفاجئة ، حتى ألقت نفسها بين ذراعيها ، وقصّت عليها الأمر كله فى كلمات مرتجفة ، تملؤها اللهفة ..

وابتهجت الأم ، وتهللت أساريرها ..

هى أيضاً وجدت فى (أحمد) زوجاً مثاليًّا لابنتها الوحيدة ..

ذلك الزوج الذى تحلم به كل فتاة فى العالم ..

وسيم .. أنيق .. مهذب .. ثرى ..

ووافقت الأم من كل قلبها ..

ووافق الأب ، حينما نقلت إليه تفاصيل ما حدث ..

وباتت الأسرة كلها تنتظر مضى هذا الأسبوع ..

ومن العجيب أن (أحمد) لم يحاول الظهور فى المنطقة ، طوال ذلك الأسبوع ..

وفى يوم الأربعاء ، فى الموعد المحدود تماماً ، توقفت سيارته أمام المنزل ، وأطلّ بوجهه إلى نافذتها ، واحمرّ .

وجه (شادن) ، ونبض قلبها فى قوة ، حينما منحها ابتسامة واثقة . وانطلق بسيارته دون أن يتبادل معها كلمة واحدة ..

وفى مساء اليوم نفسه – أمس – جاء مع والده لزيارة والدها ، وطلب يدها رسميًّا ..

وانطلقت زغرودة فرحة ، من بين شفتى أمها ، حينما تصافح الرجلان – والدها ووالده – وقرأا الفاتحة ، إعلاناً للموافقة والقبول ..

وما زال صدى تلك الزغرودة يدوّى فى أذنىْ (شادن) كموسيقى عذبة ، وهى تسترجع هذه الذكريات ..

لم تكن تصدق – حتى هذه اللحظة – أن خطبتها لـ (أحمد) ستتم – بإذن الله – بعد أسبوع واحد ، وأن زفافهما لن يتأخر أكثر من شهر ..

واتسعت ابتسامتها ، وهى ما زالت تتأمل صورتها فى المرآة ، وتذكّرت أنها ستخرج مع (أحمد) لأول مرة هذا المساء ..

وكانت تتلهف لذلك ..

كانت تريد أن تعرفه أكثر ، وتقترب منه أكثر ..

وفى لهفة أخذت تصف أدوات زينتها ، وتحاول انتقاء الثوب المناسب لنزهتهما الأولى ..

ومضت ساعة كاملة ، قبل أن يستقر رأيها على ثوب معين ، فأخذت تتحسّسه فى شوق ، وشعرت أن هذا الثوب بالذات قد أصبحت له فى نفسها مكانة خاصة ..

إنه ثوب أول لقاء ..

وأول لحظة حب ..

* * *



٢ ـ لقاء قلبين ..

اشرأبَّت الأعناق ، واتسعت العيون فى انبهار ، حينما عبرت (شادن) ، بثوبها الوردى الأنيق ، مدخل ذلك الفندق الفاخر ، قرب مطار القاهرة ، وصبغت نظرات الإعجاب وجهها بحمرة خفيفة ، زادت من فتنته ، وهى تتأبط ذراع (أحمد) ، الذى بدا بدوره شديد الوسامة والأناقة ..

كانا يبدوان وكأن أحدهما قد خُلِقَ للآخر خصيصاً ..

وتابعتهما العيون فى نشوة وحسد ، وهما يتخذان ركناً قصيًّا ، ويجلسان فى هدوء وأناقة ..

وخفضت (شادن) عينيها فى حياء ، وهى تغمغم :

ـ لماذا ينظر إلينا الجميع

ابتسم (أحمد) ، وقال فى هدوء :

ـ لأنك فجّرت إعجاب خمسين فى المائة من الحاضرين ، وأعنى الرجال ، فى حين أثرت حسد

وحسرة وغيرة الخمسين فى المائة الأخرى ، وأقصد النساء بالطبع ..

أسعدتها عبارته ، وفجرت فى أعماقها ينابيع السعادة ، ومزيداً من الخجل وهى تغمغم :

ـ إنك تبالغ .

هزّ رأسه نفياً فى هدوء ، وقال :

ـ لست أبالغ على الإطلاق ، فأنت اليوم تستحقين الدرجة النهائية ، فى الجمال والرقة والأناقة .

ابتسمت فى مزيج من الخجل والفرح ، ورفعت إليه عينيها ، وهى تتمتم :

ـ أنت أيضاً تبدو أنيقاً ووسيماً للغاية ..

التقط كفها فى هدوء ، وضغطها فى راحته برقة ، وهمس :

ـ ألا يمكننا تقديم موعد زفافنا يا (شادن) ؟

تصاعد حياؤها ، وغمغمت فى ارتباك :

ـ لست أدرى .. والدى هو صاحب القرار فى هذا .

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

– ولماذا ننتظر ؟ .. شقتى جاهزة ، والأثاث يمكن شراؤه فى يوم وليلة و ..

قاطعته وقلبها يتراقص فى سعادة :

– كما تشاء يا (أحمد) .

ابتسم فى ارتياح . وعاد يضغط كفها فى رفق ، وهو يقول :

– سيوافق والدك .. أنا واثق من ذلك .

خفت صوتها ، وهى تغمغم فى حياء :

– بإذن الله .

وفى هذه الليلة شعرت أنها قد ملكت العالم كله ..

شعرت أنها أسعد مخلوقة على وجه الأرض ..

وذلك حينما وافق والدها ..

لقد فاجأه (أحمد) بمطلبه هذا فى الليلة نفسها ، واعترض والدها فى بادئ الأمر ، بحكم طبيعته المتأنية فى اتخاذ القرارات ، ولكن (أحمد) نجح فى إقناعه بلباقة ، وأكد له أن الانتظار لا يعنى شيئاً ، وأنه بدلا

من إقامة حفل للخطبة ، وآخر للزفاف فى شهر واحد ، فمن الأفضل أن يتم كل شىء دفعة واحدة ، وكل ما سيتغير هو أنهما سيصبحان زوجين ، بدلا من قضاء شهر واحد كخطيبين ..

ولان والدها أمام منطقه العمل هذا ..

ربما لأنه اقتنع بعدم جدوى الانتظار ، أو لأنه شعر برغبة (شادن) فى موافقته ، حينما خفضت عينيها فى حياء ، وهو يسألها رأيها ..

المهم أنه وافق ..

وتم إعداد كل شىء بسرعة ..

وكان (أحمد) سخيًّا .. لم يدخر وسعاً فى منحها كل ما يبعث فى نفسها السعادة والفرح ..

وكان حفل زفافهما رائعاً ، تحدّثت عنه القاهرة كلها ..

وتألقت (شادن) فى ثوب الزفاف ، حتى أنها .. بهرت المدعوِّين ، ومست شغاف قلوبهم برقتها وفتنتها .

وخطف (أحمد) الأبصار بأناقته ووسامته ، .. وخفقت له قلوب المدعوات ..

وأصرَّت إدارة الفندق على الاحتفاظ بصورة ضخمة للعروسين ، تزين مدخل قاعة الحفلات ، بعد أن أجمع العاملون فى الفندق على أنهما أجمل عروسين شهدتهما القاعة منذ إنشائها ..

كان كل شىء يوحى بالسعادة والفرح والتوافق..

ومع نهاية الحفل انتقل العروسان إلى منزلها الجديد الفاخر ، على ضفاف نيل القاهرة الساحر ..

والتقى قلباهما ..

وبدأ عهد جديد من قصتهما ..

كشفت (شادن) أن (أحمد) رقيق عطوف محب ..

وكشف هو رقتها وجمالها وحنانها الدافق ..

ولقد بديا كأسعد زوجين فى العالم حينما زارهما والدا (شادن) ، ووالد (أحمد) صباح اليوم التالى للزفاف ..

وبعد تبادل عبارات التهنئة والمحبة ، قال والد (شادن) :

– أين قررتما قضاء شهر العسل ؟

أجابه (أحمد) فى ثقة :

– فى (باريس) عاصمة الفن والجمال .

ابتسم والده ، وهو يقول :

– هذا عظيم .. سأطلب من مكتبنا هناك أن يحجز لكما جناحاً فاخراً ، فى فندق (ريتز) ..

ابتهجت (شادن) وهى تتصور (باريس) بجمالها الساحر ، وأناقتها التى جعلتها تتميز عن عواصم أوروبا كلها ، وشعرت بالسعادة ؛ لأنها ستقضى أجمل أيام حياتها هناك ، فى عاصمة الحب ، فى حين بدا الاهتمام على وجه (أحمد) ، وهو يقول لوالده :

– إن أفراد مكتب (باريس) يحتاجون إلى بعض الحزم يا أبى ، فتعاملهم مع صفقة أدوات الزينة السابقة لم يرق لى ..

عقد والده حاجبيه ، وبادله اهتمامه ، وهو يسأله :

– لماذا ؟

اعتدل (أحمد) ، واتخذت ملامحه سمة العمـل ، وهو يجيب :

ـ أنت تعلم أن شركتنا لا نحتكر منتجات بعينها ، ولكننا نحسن التعامل مع ستين فى المائة من بيوت الأزياء، وأدوات الزينة الباريسية ، ولقـد اعتدنا الحصول على نسبة خصم خاصة ، تصل فى بعض الأحيان إلى أربعين فى المائة و ..

قاطعته (شادن) فى مرح :

ـ ليس هذا وقت الحديث فى العمل يا (أحمد) .

ابتسم فى فتور ، وغمغم :

ـ آه .. هذا صحيح .

ضحك والده ، وقال :

ـ لا تؤاخذيه يابنيتى ، فـ (أحمد) يعشق عمله ، وهو لم يحصل على إجازة منه قط .

ابتسمت والدة (شادن) ، وقالت فى حنان :

ـ ولكن إجازة شهر العسل تختلف .

هتف والد (أحمد) فى حماس :

ـ بلا شك .

ثم التفت إلى (أحمد) ، واستطرد :

ـ أليس كذلك يا (أحمد) ؟

أطلق (أحمد) ضحكة مرحة قصيرة ، وأحاط كتف (شادن) بذراعه ، وقال فى مرح :

ـ طبعاً يا والدى .. ولكن هذا لن يصلح طوال الوقت ، فشهر العسـل مع (شادن) سيمتد إلى العمر كله ..

خفضت (شادن) عينيها ، وهى تبتسم فى سعادة وحياء ، فى حين ابتسم الجميع فى حنان ، ونهضت أمها تقبّلها فى حب ، وهى تقول :

ـ أسعدكما الله يا ولدىّ .

ثم التفتت إلى والد (شادن) ، وقالت :

ـ هيّا .. سنترك العروسين لينعما بوقتهما معاً .

نهض والد (أحمد) أيضاً ، وهو يقول :

ـ صدقت يا سيّدتى .

وعادوا يتبادلون التهنئـة قبـل انصراف والدى

(شادن) ، ووالد (أحمد) . وبينما كان (أحمد) يصافح والده ، عادت ملامحه تحمل الاهتمام وهو يقول .

– أخبر (حلمى) ، مدير مكتب (باريس) ، أن ينتظرنى فى مطار (أورلى) يا أبى ، فلدى ما أتحدّث به معه بشأن صفقة الـ ..

قاطعته (شادن) فى عتاب رقيق :

– (أحمد) . ألم نتفق على نسيان العمل ؟

ضحك مرة أخرى ، وقال فى مرح :

– معذرة يا حبيبتى .. لقد نسيت .

ولم يكد يغلق الباب خلف والده ، حتى التفت إليها ، وابتسم وهو يقول :

– ستعجبك (باريس) يا (شادن) ، فهى من أجمل مدن أوربا .

التصقت به ، وهى تقول فى حب :

– سيعجبنى أى مكان فى العالم ، ما دمنا سنذهب إليه معاً يا (أحمد) .

ضمها إلى صدره ، ومسح على شعرها الكستنائى الناعم فى حنان ، وهو يقول :

– سيدهشك عدد أصدقائى هناك يا زوجتى الحبيبة ، فأنا أقضى شهراً كاملاً فى (باريس) كل عام ، و ..

تركته يتحدّث ، وأراحت رأسها على صدره فى حب ، وأخذ عقلها يصنع عشرات الصور لشهر العسل ، الذى سيقضيانه فى (باريس) ..

فى مدينة الفن والحب والجمال ..

* * *



٢ – باريس ..

استنشقت (شادن) هـواء (باريس) فى نشوة ، واحتضنت ذراع زوجها فى سعادة، وهما يجتازان بوابة الجمارك بمطار (أورلى) ، وعادت تلك الأحلام الناعمة تراود خيالها مرة أخرى ..

أحلام شهر عسل مرتقب ، فى أجمل مدن أوربا ..

وانطلق خيالها يصوّر لهـا سهرات رائعة ، مع زوجها (أحمد) ، وسط ليالى (باريس) الساحرة ، ونزهات رومانسية جميلة على ضفاف نهر (السين) ، وهمسـات عاطفيـة فوق برج (إيفل) ، و (أحمـد) يضمها إلى صدره ، وأمامهما تمتد عاصمة النور

وانتزعها من خيالاتهما صـوت يهتف بالعربية فى ترحاب :

– مرحباً بالعروسين .. لقد أضاءت (باريس) كلها .

رفعت عينيهـا لتتأمل شابًّا أنيقًـا ، صافحهـا فى حرارة وهو يقول :

– مرحباً بك فى (باريس) يا سيّدتى .. تقبّلى تهنئاتى .

ثم استدار إلى (أحمد) يشد على يده فى حرارة ، ويردف :

– تقبّل تهنئاتى يا (أحمد) بك .

صافحه (أحمد) فى رصانة ، وسأله فى اهتمام :

– كيف حال العمل هنا يا (حلمى) ؟

أطلق (حلمى) ضحكة مرحة ، وقال :

– بخير حال يا (أحمد) بك ، سنناقش كل الأمور بعد انتهاء شهر العسل .

ضحكت (شادن) بدورها ، وقالت :

أحسنت يا أستاذ (حلمى) ، سنؤجل العمل لما بعد .

ولكن (أحمد) لم يبتسم ..

لقد تحرك فى خطوات سريعة إلى خارج المطـار ، وهو يسأل (حلمى) فى اهتمام :

— لماذا لم تتم صفقة أدوات الزينة الأخيرة بالأسلوب المعتاد ؟

عقد (حلمى) حاجبيه ، وقال فى اهتمام مماثل .

— إنهم يرفضون منحنا نسبة الخصم المعتادة ، ولقد رأيت أن ..

هتفت (شادن) فى ضيق :

— ليس هذا وقت العمل يا (أحمد).. وأرجو أن تخفف من سرعتك قليلا ، فأنا أضطر للعدو خلفك .

خفض (أحمد) سرعته بغتة ، حتى أنها كادت تتعثر ، وابتسم ابتسامة قلقة ، وهو يغمغم

— حسناً يا حبيبتى

قادهما (حلمى) إلى سيارة فاخرة ، وأسرع يفتح باب مقعدها الخلفى ، ويدعوهما للركوب ، ثم جلس إلى جوار السائق ، الذى يرتدى زياً أنيقاً ، وأمره بالانطلاق إلى فندق (ريتز) ، ولم تكد السيارة تتحرك حتى عاد (أحمد) يسأله :

— لماذا لم تحاول مساومة الشركات بشأن نسبة

الخصم ، بدلا من تجاهل عروضهم الجديدة على هذا النحو ؟

بدا (حلمى) مرتبكاً ، وهو يقول :

— لقد فكرت أننا لو تجاهلنا عروضهم ، فربما يقلقهم الأمر ، ويعودون لمنحنا نسبة الخصم المعتادة .

قال (أحمد) فى حِدَّة :

— ليس هكذا تجرى الأمور فى (باريس) يا (حلمى) ، لو أنك تجاهلتهم هنا ، فسيتجاهلونك بدورهم .

غمغم (حلمى) ، وقد تضاعف ارتباكه .

— لم أتصوَّر أنه يمكنهم ذلك ، ثم إنى لم أحتمل رفض (بيير كاردان) منحنا النسبة المعتادة ، حينما خاطبنى بغطرسة ، فثرت فى وجهه و ..

أرادت (شادن) أن تقطع حديث العمل هذا مرة ثانية ، ولكن (أحمد) هتف فى غضب :

— ماذا ؟!.. ثرت فى وجه (بيير كاردان) ؟!..

أية حماقة فعلت ؟ ألا تعلم أن هذا الرجل شديد الاعتداد

بنفسه ؟ .. وأن تصرّفك هذا قد يدفعه إلى رفض التعامل معنا إلى الأبد .

شعرت (شادن) بالضيق ، وغمغمت في لهجة أقرب إلى التوسُّل ، وهي تمسك يد (أحمد) :

– إننا في أول شهر العسل يا (أحمد) .

ولكن (أحمد) لم ينتبه لكلمتها .. بل بدا وكأنه لم يسمعها قط ، فقد واصل صياحه الغاضب ، قائلا :

– هل تعلم كم حجم تعاملنا معه ؟ . إن ثلاثة وثلاثين في المائة من مبيعاتنا يحمل اسم (بيير كاردان) ، وبضاعته تربح خمسين في المائة من ثمنها على الأقل ، وهناك أكثر من ربع عملائنا يطلبون هذه البضاعة بالذات .

شحب وجه (حلمى) ، في حين عادت (شادن) تغمغم في ضراعة :

– (أحمد) .. أرجوك .

وهذه المرة أيضاً لم يلتفت إليها ، بل هتف في عصبية :

– لقد أفسدت الأمر يا (حلمى) .. سيكون علىّ

أن أقابله شخصيًّا ، وبسرعة ، قبل أن يتعاقد مع مستورد آخر .

توقفت السيارة أمام فندق (ريتز) ، فأسرعت (شادن) تقول :

حسناً يا (أحمد) .. دعنا نؤجل أمر (بيير كاردان) هذا ، حتى ..

صاح في حِدّة :

– هذا مستحيل .. سنخسر ثلث تعاملنا في (باريس) ، لو أننا لم نتحرّك بسرعة .

ثم ربَّت على كتفها في حنان ، وقال :

سأنهي هذا الأمر بسرعة يا حبيبتي ، وسأعود إليك قبل انتهائك من إفراغ الحقائب .

امتقع وجهها وهي تمتم في شحوب :

– هل تعني أنك لن ..؟

قاطعها في حنان ، وهو يربّت على وجنتها في رقة :

– لن أتأخر يا حبيبتي .. سأعود بأقصى سرعة ممكنة .

احتبست الكلمات فى حلقها ، وعجزت عن النطق ، وغامت عيناها بالدموع ، حينما غادر السيارة بسرعة ، وهو يقول لـ (حلمى) :

– هيّا بنا .. سنحاول إصلاح ما أفسدته .

وصعدت (شادن) إلى جناحهما الفاخر ، فى فندق (ريتز) ، وحدها ..

ومنعتها الدموع من ملاحظة أناقة الجناح وفخامته ، وألقت معطفها فوق الفراش فى حنق ، وألقت جسدها خلفه .. وبكت ..

بكت بدموع ساخنة صامتة ..

وتبخّرت أحلام شهر العسل من رأسها ، وهى تتذكر اهتمام (أحمد) الشديد بعمله ، وتجاهله التام لها .

حاولت أن تبحث له عن مبرّر ، ولكن ذلك الإحباط ، الذى ملأ نفسها ، لم يمكّنها من ذلك .

وعادت تنهض من فراشها ، وتجفّف دموعها ، ووقفت أمام المرآة الكبيرة فى الجناح ، تتأمل جمالها ، الذى تجاهله (أحمد) ..

وعادت تتذكر انبهاره الأول بها ، ولهفته فى التحدث إليها أول مرة ، ودغدغت تلك الذكرى حواسها ، ووجدت نفسها تبتسم ، وشعور الإحباط والحنق فى أعماقها يتضاءل ..

لقد استيقظ حبها له ، وأخمد كل المشاعر الأخرى ، وأوجد له المبرّر ..

إن مستقبل شركته فى خطر ، ولابد له من القتال من أجلها ..

وهو يفعل ذلك من أجلها ..

من أجل مستقبلهما ..

من أجل حبهما ..

وتلاشى غضبها أمام هذا التصور الجديد ، وتألقت ابتسامتها العذبة ، وأشرق وجهها الفاتن ، وأسرعت تفتح حقيبتها ، وتنتقى منها ثوباً أنيقاً فى لون زهر البنفسج ، وعادت تقف أمام المرآة ، وتفرد الثوب أمام جسدها ، وتأكدت من ملاءمته لبشرتها ، وسبحت

بخيالها تتصوَّر نظرة الإعجاب فى عينيه ، وهو يشاهدها فى ذلك الثوب الأنيق ..

واحتضنت الثوب فى حنان ، وهى تغمغم :

— إنه لن يتأخر .. لقد وعد بالعودة سريعاً ..

ولكن (أحمد) لم يعد سريعاً ..

لقد عاد فى منتصف الليل تقريباً ..

عاد مجهداً ، مرهقاً ..

ولم يلتفت إلى جمالها المبهر فى ذلك الثوب البنفسجى ، الذى امتزج بلون شعرها الكستنائى الناعم ، وعينيها الفيروزيتين ، ليصنع لوحة بالغة الحسن والجمال

لم يلتفت إليها ، ولم يحاول حتى أن يعتذر

كل ما فعله هو أن مسّ وجنتها بشفتيه ، فى قبلة باردة فاترة ، وأسرع إلى هاتف الجناح ، وقال لعامل الفندق فى فرنسية سليمة :

— أريد مكالمة عاجلة للقاهرة ..

جلست إلى جواره على طرف الفراش ، وقد عاد الإحباط يملأ نفسها إلى الأعماق ، وهى تغمغم فى ضيق :

— لقد انتظرتك طيلة النهار ولم أغادر الفندق قط .

لم تبد على وجهه بادرة توحى بسماعه عبارتها ، وهو يخبر عامل الهاتف بالرقم الذى يريده فى القاهرة ، فعادت تقول ، وقد ارتفعت نبرة صوتها فى حدة :

— لقد ارتديت هذا الثوب من أجلك .

ابتسم ابتسامة فاترة ، وربَّت على وجنتها بحركة آلية ، وهو يغمغم فى شرود :

— هذا عظيم يا حبيبتى .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فاختطف سمّاعته فى لهفة ، وقال :

— مساء الخير يا أبى .. أنا (أحمد) . يبدو أن الأمور هنا فى مكتب (باريس) أسوأ مما كنا نتصوَّر .. لقد قضيت نهارى كله فى محاولة التفاوض مع الشركات ، وحصلت على موعد لمقابلة (بيير كاردان) صباح الغد .

هتفت (شادن) فى سخط :

— صباح الغد ؟! .. هل تعنى أنك ستتركنى يوماً آخر وحدى ؟

خيّل إليها أن عبارته لم تصل إلى أذنه قط . فقد واصل حديثه فى اهتمام . ملك حواسه كلها :

- نعم يا أبى . هناك أمل ستين فى المائة . أن أنجح فى عقد صفقة جديدة معه ..

بلاشك .. سأبذل أقصى جهدى ..

شعرت بالغضب لتجاهله إياها أكثر من مرة ، فقالت فى عصبية :

- (أحمد) ..

واصل حديثه مع والده ، دون أن يلتفت إليها :

- سأخبرك بما أتوصّل إليه بالطبع يا أبتاه . فور عودتى من مقابلته سأتصل بك هاتفيًا . إلى اللقاء يا أبى

كان يضع سمّاعة الهاتف ، حينما صرخت فى صوت يجمع كل غضبها ، وسخطها ، وإحباطها :

- (أحمد) !!.. إننى أتحدّث إليك .

التفت إليها فى دهشة ، وكأنه يراها لأول مرة ، أو كأن وجودها إلى جواره جاء مفاجأة له . وغمغم فى حيرة :

- ماذا حدث يا (شادن) ؟

تفجّرت دموع القهر من عينيها ، وهى تلوّح بذراعيها ، صائحة :

- إننى أتحدّث إليك منذ زمن ، وأنت لا تشعر حتى بوجودى .

أشار إلى الهاتف ، وهو يقول فى ارتباك :

- معذرة يا حبيبتى . لقد كنت أتحدّث إلى أبى و..

قاطعته فى غضب :

- كنت تتحدّث معه فى العمل ، فى أول أيام شهر العسل ، وتتجاهل وجودى ومشاعرى تمامًا ، فماذا ستفعل بى بعد عام واحد من الزواج .

تطلع إليها فى شحوب ، ثم نهض فى بطء ، واحتواها بين ذراعيه ، وقال فى حنان ، وهو يمسح على شعرها الكستنائى فى رقة :

- اغفرى لى يا حبيبتى . لم يكن هذا لائقًا بالفعل ، ولكنى فوجئت هنا بكارثة تهدّد شركتنا بخسارة كبيرة ، ولم يكن أمامى إلا التصرف بسرعة ، وإلا فقدنا الكثير .

سالت دموعها غزيرة ، وهى تغمغم فى ألم .

— لقد ارتديت هذا الثوب من أجلك، وانتظرتك لنبدأ شهر العسل .

قبّل جبينها فى حنان ، وهمس :

— إنك تبدين فاتنة حقًّا فى هذا الثوب الجميل يا (شادن) ، وإنى أشعر بخسارة كبيرة ؛ لأننا لم نخرج معاً هذا المساء، ولكنى أفعل ذلك مضطرًّا يا حبيبتى .. من أجل مستقبلنا .. من أجل أبنائنا فيما بعد .

ثم أمسك بذقنها الرقيقة فى رفق ، ورفع وجهها إليه مستطرداً :

— ثم إنه ما زال أمامنا العمر كله يا حبيبتى وستكون حياتنا كلها شهر عسل متصل

أراحت رأسها على صدره ، وعاد الحب يمحو كل المشاعر الأخرى من قلبها ، وهى تغمغم :

— نعم يا حبيبى .. ما زال أمامنا العمر كله .

* * *

٤ — بلا رفيق ..

استيقظت (شادن) هادئة فى الصباح التالى ، وقد تلاشت من ذهنها تماماً أحداث الأمس ، ولكنها لم تكد ترى (أحمد) ، وهو يرتدى ملابسه على عجل ، حتى استعادت ذلك الشعور الجارف بالحنق والإحباط ، وهتفت فى ضيق :

— هل ستتركنى وحدى مرة ثانية ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة مصطنعة، وقبّل وجنتها فى سرعة وعجل ، وهو يقول :

— إنه موعد هام مع (بيير) يا حبيبتى ، وسيتوقف عليه — تقريباً — مستقبل تعاملنا مع (باريس) ، ولكنى أعدك ألا يتكرر ذلك مرة ثانية ..

قالت فى غضب :

— (باريس) لاتبدو ممتعة، حينما أشاهدها وحدى من نافذة الفندق .

رفع حاجبيه فى استنكار ، وهتف :

– ولِمَ تكتفين بذلك ياحبيبتي ؟.. يمكنك الخروج ومشاهدة (باريس) كلها .

ثم أردف في لهجة تشفّ عن عجلته ، وهو يعقد رباط عنقه في سرعة ومهارة :

سينتظرك سائق مكتبنا هنا ، في سيارة أنيقة ، وسأترك لك كمًّا من الفرنكات الجديدة ، يتيح لك التنزُّه كملكة في ...

قاطعته في ألم :

– كملكة وحيدة ، بلا رفيق .

ربّت على خدّها في عجلة ، وقال :

– سنذهب غداً للنزهة معاً .. أعدك بذلك

عاودها الأمل ، وهي تهتف :

– علينا أن نذهب إلى برج (إيفل) ، ومتحف (اللوفر) ، و ...

قاطعها في عجلة :

– بالطبع يا عزيزتي .. بالطبع .. أنا أيضاً أتمنى رؤية برج (إيفل) .

رفعت حاجبيها في دهشة ، وهي تقول :

– ماذا ؟! .. هل تعني أنك تزور (باريس) شهراً كاملاً كل عام ، ولم تشاهد برج (إيفل) بعد ؟

ظهر الضجر على وجهه ، وألقى نظرة سريعة على ساعته ، ثم قال :

– إنه العمل يا حبيبتي .. العمل .

ثم أسرع خارجاً ، وهو يستطرد :

– إلى اللقاء يا روحي الحبيبة . ستنتظرك سيارتنا

انتابها شعور عارم بالضيق ، حينما وجدت نفسها وحيدة مرة أخرى ، وغمغمت في سخط :

– يا له من شهر عسل !!

وفجأة تحوّل ضيقها إلى عناد شديد ، وقفزت من فراشها في حدّة ، وانتقت من بين أثوابها ثوباً بسيطاً ، أزرق اللون ، ارتدته في عجلة ، وتركت وجهها بلا تزيين ، وعقصت شعرها خلف رأسها ، على ذلك النحو المعروف باسم (ذيل الحصان) ، ثم وقفت تتأمل وجهها وثوبها في المرآة ..

شعرت أن هذا يجعلها أشبه بطالبة فى المرحلة الثانوية . ولكنها لم تحاول تغيير ثوبها . أو تصفيفة شعرها ..

وهبطت إلى حيث تنتظرها السيارة . التى أسرع سائقها يفتح بابها الخلفى . وينحنى فى احترام . ولكنها قالت فى حدّة :

– يمكنك الانصراف . سأتجول فى (باريس) على قدمىّ .

رفع السائق حاجبيه فى دهشة . ثم عاد ينحنى لها . وهو يقول فى احترام :

– ولكن السيد (أحمد) أمر أن ..

قاطعته فى حنق :

– قلت لك إننى لن أركب السيارة .

مطّ السائق شفتيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يغلق باب السيارة مغمغماً :

– كما تشائين يا سيدتى .

ابتعدت عنه بخطوات سريعة غاضبة ، وكأنها

لا تريد أن تمنحه فرصة لدس أنفه فى شئونها . ولكنها لم تكد تبتعد عن السائق والفندق ، وتختلط بالمارّة ، وتجد نفسها وسط شوارع (باريس) ، حتى تلاشى غضبها . وحلّ محله شعور رائع بالنشوة والسعادة ..

إنها تسير وسط (باريس) ..

وسط مدينة الجمال ..

وبهرتها أناقة المدينة ، ونظافتها ، وحداثتها المعروضات الأنيقة فى كل مكان حولها ، فعاد إليها مرحها ، وأخذت تجوّل فى انبهار وسعادة ..

ومضى وقت طويل قبل أن تنتبه بغتةً إلى أنها لا تعرف (باريس) جيّداً ، ولم تزرها من قبل ، فتوقفت حائرة ، ودارت ببصرها فى أرجاء الميدان الواسع ، الذى تقف فيه ، محاولةً تذكُّر الطريق الذى جاءت منه ..

ولكنها عجزت عن ذلك ..

بدت لها الشوارع ، والميادين ، والمحال التجارية متشابهة ..

وشعرت فجأة بوحدتها ..

شعرت أنها بلا رفيق تستند إليه ..

وغمغمت فى توتر :

— لا بأس .. سأستقل إحدى سيارات الأجرة و ..

ارتسم فجأة جزع شديد فى عينيها ، وقد فجّرت العبارة مخاوف جديدة فى أعماقها ، وكشفت لها أموراً لم تنتبه إليها من قبل ..

إنها لا تتحدّث الفرنسية ..

لقد كان حديثها مع السائق بالإنجليزية ، التى لا تجيد غيرها ..

ثم إنها لا تملك مالاً ..

انصرافها السريع الغاضب من أمام السائق جعلها تنسى أخذ النقود التى تركها (أحمد) معه

وشحب وجهها ، وقد تكشّفت أمامها مشكلتها على نحو مخيف ..

وفجأة .. انتزعها من توترها وشحوبها صفير إعجاب متصل ، وسمعت صوتاً يهتف بعبارة فرنسية ،

لم تفهم معناها ، وإن كانت واثقة من أنها تعبر عن الإعجاب ..

أو أنها إحدى عبارات الغزل التى يتقنها الفرنسيون ..

والتفتت إلى مصدر الصفير فى حنق ، وارتفع حاجباها الجميلان فى دهشة . وهى تتطلع إلى صاحبه ..

لقد كان شاباً فى أوائل العشرينات ، لا يشبه الباريسيين بأى حال من الأحوال ..

صحيح أنه طويل القامة . نحيل مثلهم ، ولكن بشرته القمحية ، وشعره المجعّد ، وعينيه السوداوين كانت أبعد ما يكون عن الملامح الفرنسية

وانتقلت بصرها فى حيرة إلى الثياب البسيطة التى يرتديها ..

السترة الجلدية ، والقميص الأبيض ، وذلك السروال الأمريكى الشهير (البلوجينز) ..

ثم عقدت حاجبيها فى غضب ، وأشاحت بوجهها بعيداً عنه ، ولكنه عاد يحادثها بالفرنسية ، وتحرّك ليواجهها ، وهو يتحدّث فى مرح ..

وتصاعد غضبها .

أرادت أن تصرخ فى وجهه ، أو تصفعه . ولكن شعورها بالوحدة ، وقلقها ، منعاها من ذلك ، فعادت تشيح بوجهها إلى الجانب الآخر . وتمط شفتيها فى ازدراء ، وهى تغمغم فى حنق :

– يا للسخافة !

تحرّكت قدمها لتبتعد عنه فى سرعة ، ولكنها لم تلبث أن تجمّدت فى مكانها ، حينما هتف الشاب فى دهشة ، وبلهجة مصرية خالصة :

– يا إلهى !! .. أأنت مصرية ؟

استدارت إليه فى دهشة مماثلة ، وهتفت :

– وأنت مصرى ؟ !

لاحظت احمرار وجنتيه خجلا ، على الرغم من بشرته القمحية ، وهو يغمغم فى ارتباك :

– معذرةً .. لقد ظننتك فرنسية ، وهنّ – كما تعلمين – لا يغضبن لعبارات الغزل .

تمتمت ، ولم تزل دهشتها بعد :

– لا عليك .

ابتسم فى ارتياح ، ومدّ كفه يصافحها ، وهو يقول فى مرح :

– اسمى (عصام) . طالب بالسنة النهائية فى كلية هندسة الإسكندرية . وأعتقد أننى سيئ الحظ للغاية . فهذه أول مرة أحاول فيها معاكسة فرنسية ، وها أنذا أجد نفسى أمام مصرية وكأننى لم أغادر مصر بعد .

ضحكت وهى تصافحه ، قائلة :

– إنه عالم صغير .

ضحك بدوره ، وقال :

– لم أتصوّره صغيراً إلى هذا الحد .

ثم عادت لهجته إلى جدّيتها ، وهو يردف :

– لقد خدعتنى ملامحك فى الواقع ، فهذا الشعر الكستنائى الناعم ، وتلك العيون الفيروزية النادرة جعلتنى أظنّ ..

ارتبكت مرة أخرى ، وهو يبحث عمّا يكمل به عبارته ، فضحكت هى ، وقالت :

– من حسن حظك أنى لم أتعامل معك بطبيعة مصرية ، وإلا كنت صفعتك وسط الطريق ، وتركتك تحاول شرح موقفك للباريسيين .

ابتسم فى خجل ، وقال :

– يبدو أنك لا تعرفين الباريسيين . فلو أنك صفعتنى وتركتنى وسط الطريق ، لن يتقدم أحدهم ليسأل عن السبب ، بل سيكتفون بالابتسام . ويمضون فى طريقهم ، وهم يظنوننا عاشقين يساور أحدهما الغضب .

تضرج وجهها بحمرة الخجل . هذا التشبيه الذى استخدمه . ويبدو أنه لاحظ ذلك . فقد أسرع يتابع

ولكن لو أنى صفعتك فسيحدث العكس .

ويندفع العشرات للومى وتقريعى . فهم مصابون بضعف شديد أمام الجمال .

تضاعف خجلها . وغمغمت فى ارتباك

– ربما .

ثم اغتصبت ابتسامة مرحة ، وهى تقول :

تسعدنى مقابلتك يا (عصام) ، وسأتركك الآن ، فأمامى وقت طويل قبل أن أهتدى إلى فندق .

ابتسم وهو يقول فى مرح :

– هناك طريقة توفّر الوقت .. يمكنك ركوب إحدى سيارات الأجرة .

ضحكت وهى تقول :

– سيكون ذلك أكثر صعوبة فى الواقع ، فقد نسيت نقودى كلها فى الفندق ، ثم إننى لا أتحدث الفرنسية

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف :

– يا لك من مغامرة !! .. أتجولين فى (باريس) دون نقود أو لغة ؟

هزّت كتفيها ، وقالت :

– هذا قدرى .

أدهشتها نظرة الحنان ، التى ارتسمت فى عينيه . وهو يهمس :

– بل هو قدرى أنا .

نبض قلبها أمام كلماته الدافئة ، وتملكها شعور عجيب عجزت عن تفسيره ، وتدفقت دماء الخجل الحارّة فى وجهها ، فخفضت عينيها وهى ترتجف . إلا أن صوته استعاد نبرة المرح فى سرعة ، وهو يردف

— لم تعد هناك مشكلة إذن . فأنا أجيد الفرنسية . ويمكننى إقراضك بعض الفرنكات ، ومن حسن حظك أنه يوم إجازتى . وسيسعدنى أن أعمل كترجمان خاص لك طيلة النهار .

ازداد ارتجافها ، وهى تتأمل ملامحه مرة ثانية

بدا لها شابًا عاديًا . يمكنه أن يضيع وسط الآلاف من شباب مصر ، دون أن يجد المرء سمة واحدة تميّزه

ولكن شيئاً ما جذبها إليه ..

شيئاً عجزت عن تفسيره . وهو يستطرد فى اهتمام حنون :

— ولكن كيف ضللت طريقك ؟ .. أين كنت تنوين الذهاب ؟

هزّت كتفيها ، وابتسمت فى ارتباك ، وهى تغمغم :

— لقد أردت زيارة برج (إيفل) ، ولكن ..

قاطعها وهو يهتف فى مرح :

— يا للمصادفة !! .. لقد كنت فى طريقى إلى هناك . هذا طريف ، دعينا نذهب أولاً إلى برج (إيفل) ثم أعيدك إلى فندقك .

تردّدت طويلاً أمام عرضه ..

إنه شاب غريب عنها ، لم تعرفه إلا منذ لحظات ..

كيف يمكنها أن تثق به ؟ ..

كيف لها أن تأمن له ؟ ..

ولكن ذلك الشىء الغامض فى أعماقها ، والذى لا تجد له سبباً أو تفسيراً ، منعها من رفض عرضه ..

ولقد دهشت هى نفسها ، وبدا لها ، وكأن أخرى تتحدّث ، حينما قالت فى بساطة :

— لا بأس .. إنى أتمنى رؤية برج (إيفل) منذ زمن طويل .

اتسعت ابتسامته فى سعادة وارتياح ، وهتف فى حماس :

— هيّا بنا إذن .

ثم عاد يعقد حاجبيه ، ويسألها بغتة :

— ولكن .. ولكننى لم أعرف اسمك بعد .

عاد الخجل يملأ نفسها ، وهى تقول :

— اسمى (شادن) طالبة بالسنة النهائية . بكلية تجارة القاهرة .

تهللت أساريره . وقال وهو يشرد ببصره بعيداً

— (شادن) !! . يا له من اسم موسيقى حنّان !!

ثم عاد يقول فى حماس :

— هيّا بنا إذن يا (شادن) . سأجعلك تشهدين (باريس) كلها .

سارت إلى جواره ، وقد انتقل إليها حماسه .

وشعرت أنها لم تعد وحيدة ..

لقد صار لها صديق ..

* * *

٥ ــ مدينة الحب ..

انظرى إلى (باريس) يا (شادن) ها هى ذى مدينة الفن والحب والجمال تمتد أمامنا انظرى إلى نهر (السين) . وهو يشق المدينة فى نعومة وانسياب . وإلى تلك المنازل القديمة . ذات الأسطح المائلة . التى تعود بالأذهان إلى قرن مضى وها هو ذا قصر (الإيليزيه) بشموخه وعظمته . وهناك قوس النصر . ومتحف (اللوفر) . وشارع (الشانزليزيه) إنها (باريس) يا (شادن) .. إنها مدينة الحب .

انسابت هذه الكلمات من بين شفتى (عصام) فى انبهار . ورقة . وشاعرية . وانتقلت إلى أعماق (شادن) . التى استندت إلى شرفة الطابق العلوى من برج (إيفل) تتطلع بدورها إلى (باريس) . وتستمع إلى (عصام) فى نشوة وسعادة ..

وواصل هو فى حنان :

— إنك لم تَرَىْ الغروب من قمة (إيفل) يا (شادن) . إنه أروع مشهد تقع عليه عيون البشر . وهناك مثل

فرنسى يقول : « من لم ير الغروب من قمة (إيفل)
ليس بفرنسى ، ولم يزر (فرنسا) بعد » .

شعرت بارتخاء جميل فى جسدها . وهى تستمع
إليه ، فى حين تنهد هو ، وقال :

— كل عشاق (باريس) يحضرون إلى هنا لحظة
الغروب . ويراقبون قرص الشمس وهو يحتضر فى
الأفق .

غمغمت فى رقة :

— لا تستخدم هذا المصطلح يا (عصام) إنى
أفضل أن نقول إنه يولد فى مكان آخر

غمم وهو يتطلع إلى جمالها الفتان فى حنان

— نعم يا (شادن) .. إنه ميلاد جديد .

— ارتجفت حينما مس كفها المسترخية فوق حاجز
الشرفة بأنامله . وأزاحت كفها بعيداً عنه فى رقة ،
وخفضت عينيها فى خجل ..

وساد بينهما صمت ثقيل ..

كان جسدها الصغير يرتعد فى ارتباك . وهى تحاول

وأد ذلك الشعور الجديد . الذى بدأ يتسلل إلى أعماقها ،
ويداعب شغاف قلبها ..

وتذكرت أنها عروس فى شهر العسل ..

عروس لم يمض على زواجها أسبوع واحد ..

وأثار هذا فى أعماقها شعوراً قوياً بالخجل ،
وتأنيب الضمير ..

وغمغمت فى محاولة منها لمحو هذه المشاعر . وقطع
ذلك الصمت الثقيل :

— ماذا تفعل هنا ، فى (باريس) ، يا (عصام) ؟

حاول أن يبتسم . ولكن ابتسامته جاءت شاحبة ،
فاترة ، وهو يجيب :

— إنى أعمل .

قالت فى دهشة :

— تعمل ؟ ! .. ألم تقل إنك .. ؟

قاطعها . وهو يكمل عبارتها ، قائلاً :

— طالب فى السنة النهائية بهندسة الإسكندرية ..
هذا صحيح . ولكننى أعمل هنا فى الإجازة الصيفية فقط .

عادت تسأله فى فضول :

– وماذا تعمل هنا ؟

هزّ كتفيه . وأجاب فى بساطة . وهو يشرد ببصره بعيداً :

– أغسل الأطباق فى أحد الفنادق الفاخرة

تضاعفت دهشتها ، وهى تسأله :

– ولكن لماذا ؟ ! .. إنك طالب هندسة و ..

قاطعها فى هدوء :

– وماذا ؟ ! .. إنه عمل شريف على أية حال .

ثم استند إلى حاجز الشرفة بدوره . والتفت يواجهها ، قائلا :

– اسمعى يا (شادن) . إننى الابن الرابع لأسرة يبلغ عددها سبعة أفراد . أربعة إخوة . وأختان . وأب موظف فى هيئة التصنيع . وأم حنون . لم تنل قدراً كافياً من التعليم . ولكنها تحسن تربيتنا . وتمنحنا حبّاً وحناناً واهتماماً تعجز عنهما أخرى حاصلة على درجة الدكتوراه . وأنا أعمل فى الإجازات الصيفية منذ

كنت فى المرحلة الثانوية . وأحلم منذ زمن طويل بزيارة (باريس) . ولقد ادخرت مصاريف هذه الرحلة خمس سنوات كاملة . وعلى الرغم من ذلك لم أدخر ما يسمح لى بنزهة سياحية فى (باريس) . كل ما أمكنني ادخاره كان يكفى تذكرة الذهاب والعودة . وعدداً من الفرنكات . لا يسمح لى بقضاء أكثر من ثلاثة أيام هنا

صمت لحظة . وكأنه يسترجع ذكرياته . ثم تابع فى هدوء :

وكان علىّ أن أبحث عن عمل مناسب . حتى يمكننى قضاء أكبر وقت ممكن هنا فى (باريس) وكان هذا هو العمل الوحيد . الذى عثرت عليه . وهو يكفى نفقاتى ، ونزهاتى المتواضعة .

تطلّعت إلى وجهه فى حنان . وهى تقول فى همس

– أنت شاب مكافح يا (عصام) .

ابتسم فى حزن ، وقال :

– كل إنسان يكافح فى هذا العالم . بحثاً عما يفتقده يا (شادن) .

سألته فى حنان :

ـ وماذا تفتقد أنت يا (عصام) ؟

أدار عينيه إليها . واحتوى بهما وجهها كله ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ..

وارتجفت ..

ارتجفت من قمة رأسها . حتى أخمص قدميها

وعاد ذلك الشعور الغامض يكتسح وجدانها .

ويحفر آثاره فى أعماقها ..

ولكنها لم تخجل ..

ولم تخفض عينيها ..

كان ذلك الشعور قوياً جارفاً هذه المرة. حتى أنه أزاح أمامه كل المشاعر الأخرى ..

ولم تشعر بأصابع (عصام) . وهى تتسلل إلى أصابعها ، وتحتضنها فى حنان ودفء ..

لم تشعر بها . إلا عندما قال فى همس رقيق :

ـ (شادن) هل ننتظر لنشاهد الغروب معاً . من قمة (إيفل) ؟

فهمت ما يقصده ، وارتعدت كفها بين أصابعه ، وأرادت أن تجـذب يدها من يده ، ولكنه قبض عليها فى قوة ، وهتف فى انفعال ، ولهفة :

ـ (شادن) .. أنا أحبك .. صدقينى لست أعرف كيف حدث هذا ، ولكننى أحبك ..

عادت تحـاول جـذب يدها من يده ، وهى تفر بعينيها من عينيه ، وتقول فى توتر :

ـ كلاً يا (عصام) .. كلاً ..

امتلأ صوته بالحب ، وهو يقول :

ـ أعلم أن الوقت الذى تعارفنا فيه لا يكفى لذلك، ولكنى أشعر وكأننى أعرفك منذ زمن طويل. صدقينى يا (شادن) .. أنا أحبك .. أحبك ..

جذبت يدها من يده فى قوة ، واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تهتف :

ـ لا تقل هذا يا (عصام) .. لا تقل هذا .

عاد يلتقط يدها ، ويرفعها إلى وجهه ، قائلا فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ صدقيني يا (شادن) .. أنا لا أخطئ أبداً فهم مشاعرى .. إننى أحبك يا (شادن) .. أحبك و ..

توقفت الكلمات فى حلقه بغتةً ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وتصلَّبت شفتاه ، وهو يحدّق فى دبلة الزواج الذهبية ، التى تتألّق فى وسطاها ، خلف خاتم ذهب كبير ، أخفاها عن عينيه منذ البداية ، وارتجف صوته وهو يغمغم .

ـ أنت متزوّجة ؟ !

وتحوّلت غمغمته إلى صرخة ، حملت كل جزعه ودهشته :

ـ أنت متزوّجة يا (شادن) .

تفجَّرت دموعها كالفيضان ، وانتزعت كفها من يده فى حدة ، وانطلقت تعدو نحو المصعد ، وتوقّف هو كالمصعوق ، يحدق فيها ، حتى بدأ المصعد هبوطه .

وهنا تبخر ذهوله ، وتلاشى تسمُّره ..

لم يعد يعنيه ما إذا كانت متزوجة أم لا ..

لم يعنه إلا شيء واحد ..

أنه سيفقدها ..

إنها تنصرف أمام عينيه ..

وانطلق يعدو نحو المصعد ، وكأنه يحاول إيقافه ، وصرخ فى لوعة :

ـ (شادن) .. أرجوك .

وأطلقت صرخته الملتاعة سيل دموعها الفياض ، وضغطت أذنيها بكفيها فى قوة ، وكأنها تحاول منع ندائه من الوصول إلى عقلها .

ولكن ذلك لم يمنع النداء ..

استمر يتسلل إلى أعماقها ..

إلى مشاعرها ..

إلى قلبها ..

وبدا لها المصعد ، وكأنه يستغرق دهراً فى هبوطه ..

ولم يكد يتوقف فى الطابق الأرضى حتى اندفعت خارجه وهى تبكى ، ولوَّحت بكفها لإحدى سيارات الأجرة ، وسبقت جهها بالفرنسية ، وهى تقفز داخلها .

ونسيت أنها لا تملك نقوداً ..

ونطقت بكلمة واحدة :

– (ريتز) .

وانطلق السائق دون أن يسألها أية إضافة ، وقد بدا له فندق (ريتز) أكثر شهرة من أن يحتاج إلى ذلك ..

انطلق يشق شوارع (باريس) فى طريقه إليه ..

انطلق وسط مدينة الحب .

* * *



٦ – العـذاب ..

توقفت سيارة الأجرة أمام فندق (ريتز) ، وأشار إليه السائق ، وهو يقول فى احترام :

– فندق (ريتز) يا مدموازيل .

تذكرت (شادن) فى هذه اللحظة فقط أنها لا تملك نقوداً ، وشحب وجهها ، وزاد ارتباكها ، ودموعها من شحوبها ، حتى أن السائق عاد يسألها فى قلق :

– أتعانين مشكلة ما يا مدموازيل ؟

لم تفهم عـبارته ، وازداد توترها وهى تحـاول شرح موقفها له ، وتطلّع إليها السائق فى مزيج من الدهشـة والقلق ، ثم أسرع يفتح باب السيارة المجـاور لها ، وهو يسألها فى لهفة :

– هل أطلب إحضار طبيب ؟

تطلّعت إليه فى حيرة وتوتر ، وزاد موقفها هـذا من دموعها التى بلّلت وجهها كله ، وأثارت جزع السائق وقلقه وحيرته ..

وفجأة انتشلها صوت مألوف من عذابها وخوفها وحيرتها ..

صوت (أحمد) ، وهو يهتف فى لهفة وتوتر :

– (شادن) !! .. أين كنت ؟! . لقد أثرت مخاوفى حتى الأعماق .

وألقت نفسها بين ذراعيه ..

وانفجرت تبكى وتنتحب ، وهى تصرخ فى ألم :

– لماذا تركتنى وحدى ؟ .. لماذا ؟

ضمها إلى صدره فى دهشة وجزع ، وطلب من سائق سيارته أن ينقد سائق سيارة الأجرة أجره . وقادها إلى الفندق ، وهو يقول فى حنان وقلق :

– ماذا بك يا(شادن) ؟ . ماذا حدث ياحبيبتى ؟

لم تستطع إجابته من فرط بكائها الحار .

ظلت تبكى على صدره حتى وصلا إلى جناحهما .

وهناك كرَّر سؤاله ، وقد تضاعف قلقه ، وتعاظمت حيرته :

– ماذا بك يا (شادن) ؟

هتفت فى ألم :

– لماذا تركتنى وحدى دون نقود ؟ .. لقد ضللت طريقى ، ولم أجد أحداً إلى جوارى

تطلَّع إليها فى دهشة ، وغمغم فى حيرة :

– ولكننى تركت لك مبلغاً كبيراً يا (شادن) .. وتركت معك السائق والسيارة .. أنت التى .

قاطعته فى غضب :

– كنت أريدك أنت .. لقد تركتنى وكدت آ ..

بترت عبارتها دمعة واحدة ، قبل أن تقول إنها كادت تقع فى حب رجل آخر ، وعض حلقها بالعبارة التى لم تنطقها ، فتضاعفت حدة بكائها ، مما جعله يهتف فى قلق :

– ماذا بك يا (شادن) ؟ .. إننى لم أرك تبكين على هذا النحو .

صرخت من أعماقها :

– ومتى ترانى ؟! .. إنك لا توليني أقل قدر من الاهتمام ، منذ وصلنا إلى (باريس)

عبّرت عبارتها عن كل السخط فى أعماقها ، ولكنها لم تتجاور شفتيها ، بل تحوّلت إلى مزيد من الدموع ، فربّت (أحمد) على كتفها فى عطف ، وقال فى حنان :

— أكل هذا لأنك كدت تضلين الطريق ؟

هتفت فى حنق :

— إننى لا أعرف الفرنسية .

رفع حاجبيه ، وهو يقول فى حنان :

— يا إلهى !! .. لم أكن أعرف ذلك يا حبيبتى .. صدقينى .

مرة أخرى صرخ سخطها فى أعماقها :

— لم تكن تعرف ذلك ؟ ! .. وما الذى تعرفه عنى ؟ .. بل ما الذى حاولت أن تعرفه عنى ؟

ومرة أخرى لم تتجاوز صرختها شفتيها .

ومرة أخرى ربّت على كتفها فى عطف ، وغمغم :

— لقد انتهى كل شىء يا (شادن) .. انتهى كل شىء ..

تركته يجفف دموعها بأصابعه فى رقة ، وهى تفكر فى عبارته ..

أى شىء هذا الذى انتهى ؟ ..

حبهما ؟ .. زواجهما ؟ ..

أم مشاعرها نحو (عصام) ؟..

وسألته فى مزيج من السخرية والمرارة :

— هل توصلت إلى اتفاق مرض مع (بيير كاردان) ؟

لم يلمح السخرية والمرارة فى كلماتها ، وإن أدهشه سؤالها المباغت هذا ، فأجاب فى حيرة :

— ليس بعد يا حبيبتى . ولكننى امتصصت غضبه على الأقل ، وأعتقد أننى سأنجح .

صاحت فى عصبية :

— متى ؟ .. أبعد أن ينتهى شهر العسل ؟ أم بعد أن يكره كل منا الآخر ؟

اتسعت عيناه فى ذهول ، وهتف :

— يكره كل منا الآخر ؟! .. ماذا تعنين يا (شادن)؟

صاحت فى غضب :

– إنك تتعامل معى كما لو كنت كمًّا مهملاً .. كل اهتمامك توليه لعملك فقط .. حتى فى شهر العسل .. حتى فى تلك الأيام التى تحلم بها كل عروس .

استمع إليها فى دهشة ، ثم غمغم فى توتر :

– ولكننى أفعل ذلك من أجلك يا (شادن) .. من أجلنا معاً .

– ومن قال لك إننى أريد ذلك ؟

– إنه عملى .

– وأنا زوجتك .

– أنت حياتى ، وهو مستقبلى ، والإنسان لا يمكنه فصل حياته عن مستقبله .

– ولا يمكنه أن يفكّر فى مستقبله فقط ، دون النظر إلى حياته .

أمسك كتفيها عند هذه النقطة ، وتطلّع بعينيه الشفافتين إلى عينيها الفيروزيتين ، وقال فى لهجة عجيبة ، تجمع ما بين الحزم والحنان :

– اسمعينى جيداً يا (شادن) .. أنا أيضاً كنت أحلم بشهر عسل رائع معك فى (باريس) ، ولكننى فوجئت بهذا التخبط فى مكتبنا هنا ، وعرفت منذ اليوم الأول أن الأمور لو سارت على هذا المنوال ، ستخسر الشركة ما لا يقل عن خمسة ملايين هذا العام ، وثلث حجم تعاملها فى (باريس) إلى الأبد ، ولم يكن بإمكانى الوقوف مكتوف الذراعين أمام هذه الكارثة ، بحجة أننى أقضى شهر عسل .. كان علىّ أولاً أن أنقذ الشركة ، ولم يكن هذا يحتمل التأخير .

غمغمت فى حزن :

– ولكنك تركتنى وحدى .

قال فى صرامة :

– لم يكن هذا يسعدنى أيضاً ، ولكنها الضرورة .

ثم عاد يقول فى حنان :

– ثم إن هذا أمر وقتى ، سيزول بزوال المشكلة ، وسيبقى أمامنا العمر كله لـ ..

قاطعته فى حِدّة :

– كفى يا (أحمد) .. لقد سئمت هذه العبارة .

قال فى حدة مماثلة :

– ولكنها تعبّر عن حقيقة مشاعرى تماماً .

وضمّها إلى صدره ، وهو يقول :

– صدقينى يا (شادن) .. أنا أحبك ، وأكره أن ينشب بيننا مثل هـذا الخلاف ، فى بداية حياتنا الزوجية .. صدقينى يا (شادن) .

تعذّبت كثيراً وهى تحاول إقناع نفسها بتصديقه .

كان قلبها يقارن – دون وعى منها – بينه وبين (عصام) ..

بين أسلوبه العملى ، وأسلوب (عصام) الشاعرى الرقيق ..

بين كلماته الجافة ، وكلمات (عصام) الدافئة الممتلئة بالمشاعر ..

وزادت المقارنة من عذابها ..

كانت تعلم أنها زوجته هو ..

زوجة (أحمد) ..

وليس من حقها أن تفكر فى رجل آخر ..

أو حتى تشعر برجل آخر ..

كان قلبها يرفض هذا المنطق ، ولكن عقلها يؤمن بصوابه ..

وتضاعف عذابها .. وتعاظم ..

وقال (أحمد) فى حنان :

– إنك متعبة وعصبية هذا المساء .. فلنأو الليلة إلى الفراش ، وغداً أعدك بعشاء فاخر ، ونزهة ليلية رائعة على ضفاف (السين) .

جفّفت دموعها ، وهى تغمغم :

– أحقّاً ؟! .

ضمها إلى صدره ، وهتف فى حنان :

– أقسم لك يا حبيبتى .

ودعت الله أن يكون صادقاً ..

وأن ينتهى هذا العذاب ..

* * *

٧ ـ لقاء على ضوء الشموع ..

مرّ الأسبوع التالى من شهر العسل هادئاً ..

صحيح أن (أحمد) كان يترك زوجته وحدها ، وينطلق لمواصلة محاولاته فى عقد تلك الصفقة الجديدة ، التى يحلم بها ، مع (بيير كاردان) ، ولكنها لم تعد تعترض على ذلك ..

كان ذلك الشعور بالذنب ، الذى يملأ قلبها كلما تذكّرت لقاءها مع (عصام) ، فوق قمة (إيفل) ، يدفعها للتحمّل والصمت ..

كانت تعتبر نفسها قد أخطأت فى حق زوجها ، حينما مالت مشاعرها نحو رجل آخر ، فى أول أيام زواجهما ، وكانت تعتقد أن احتمالها لأسلوبه العملى يكفّر عن خطئها تجاهه ..

ثم إن (أحمد) كان يبذل جهده لاسترضائها ، حينما يعود من عمله ..

كان يدعوها فى كل مساء لقضاء سهرة أنيقة فى

قلب (باريس) ، ينفق فيها بسخاء ، ويرتادان فيها أفخر الأماكن وأجملها ..

وكانت (شادن) تبذل أقصى جهدها لنسيان (عصام) ، ولكن أسلوب (أحمد) العملى ، المغرق فى الواقعية والمنطقية ، كان يدفعها أحياناً لتذكر شاعرية (عصام) ورقته ، إلا أنها لا تلبث أن تقهر مشاعرها ، وتخمد ذكرياتها ، حتى تظل وفيّة للرجل الذى تزوّجته ..

وفى تلك الليلة كانت تشعر بالملل ..

لم تشعر بالحماس عندما سألها (أحمد) فى روتينية :

ـ أين تريدين الذهاب هذه الليلة ؟

كان هذا السؤال يشف عن مجاملة واضحة ، فهو يعلم تمام العلم أنها لا تعرف عن (باريس) أكثر مما رأياه معاً ، باستثناء برج (إيفل) ، الذى زارته وحدها مع (عصام) ..

وهزّت كتفيها فى هدوء ، وهى تقول :

ـ ليست بى رغبة للخروج هذه الليلة

خيّل إليها أن ملامحه قد استرخت فى ارتياح ، وكأنما كان يأمل أن تأتى إجابتها على هذا النحو ، فانتابها بعض السخط ، وقالت :

— ما رأيك أن نسهر الليلة فى ملهى الفندق ؟ .. يقولون إن ملهى (ريتز) من أفضل ملاهى (باريس) .

ظهر الضجر على وجهه ، ولكنه أجبر نفسه على الابتسام ، وغمغم فى فتور :

— لا بأس .. إنها فكرة رائعة .

وبدا ملولاً ، وهو يرتدى حلة مناسبة للسهرة ، وكانت تعلم أنه يتمنى قضاء هذه الليلة مسترخياً فى فراشه ، ولكنها تجاهلت رغبته ، وازداد إصرارها على قضاء السهرة فى ملهى الفندق ..

كانت قد قرّرت أن تجعل نفسها جزءاً من حياته ، حتى وإن لم يعجبه ذلك ، أو يرق له ..

كانت قد قرّرت أن تقاتل من أجل نجاح زواجها ..

وفى تلك الليلة — فى ملهى (ريتز) — بدا لها القتال عسيراً ، بعيد المنال ..

لقد كان برنامج الملهى رائعاً ، مليئاً بالفقرات الجميلة الجذّابة ، ولكنه لم يبد أدنى نوع من الاهتمام أو الاستمتاع به ..

كان يبدو فاتراً ، شارداً ، ضجراً ، مما أورثها خيبة الأمل ..

وحاولت أن تجتذبه لمبادلتها الحديث ، فقالت فى رقـــة :

— هل يعجبك العرض ؟

لم يجب سؤالها على الفور ، وإنما ظلّ شارداً لحظة ، ثم التفت إليها بغتةً ، وكأنما تنبه لوجودها ، واغتصب ابتسامة خالية من أى تعبير ، وهو يقول :

— ماذا قلت يا حبيبتى ؟

تنهّدت فى ضيق ، وحاولت السيطرة على ضيقها ، وهى تعاود سؤاله :

— هل أعجبك العرض ؟

تصنّع حماساً زائفاً ، وهو يقول :

— بالطبع .. بالطبع ياعزيزتى .. إنه عرض رائع .

شعرت بالغضب من حماسه الزائف ، وسألته فى توتر :

– لقد كانت فقرة الساحر رائعة . أليس كذلك؟

حافظ على ابتسامته المصطنعة ، وهو يقول :

– بلى يا عزيزتى .. لقد كانت أجمل الفقرات .

تضاعف غضبها فى شدة ..

إنه يحاول خداعها ..

إنه لم يلتفت إلى العرض قط ..

وهى واثقة من ذلك ، فلم تكن هناك أية فقرات لأى ساحر ..

وكتمت غضبها فى أعماقها ..

وحاولت أن تبحث عن وسيلة لجذب انتباهه ..

وسيلة تشعره بها ، وبوجودها ..

وقفزت إلى عقلها بغتة فكرة جديدة ..

أسلوب جديد ، سيجذب انتباهه حتماً ..

وامتلأت نفسها بالحماس مرة أخرى ..

إنه يعشق عمله ، ويجد فيه كل لذته وحياته ..

ستجتذبه إليها عن طريق هذا العمل ..

واستنشقت دفعة كبيرة من الهواء ، ملأت بها صدرها ، وكأنها تستمد منها القوة ، لبدء معركتها من جديد ..

ومالت نحوه ، ووضعت فى صوتها أكبر قدر ممكن من الاهتمام ، وهى تسأله :

– كيف حال تلك الصفقة الجديدة مع (بيير كاردان) ؟

لم تكن تتصور أن طريقتها ناجحة إلى هذا الحد ..

لقد جذب سؤالها انتباهه واهتمامه تماماً ، وألقى عنه كل ما يشعر به من فتور وملل ، وملأ نفسه بحماس مفاجئ ، ونشاط عجيب ، وهو يجيبها قائلا :

– أعتقد أنها تسير فى الطريق الصحيح .. إن (بيير) عنيد ، يثق بنفسه ثقة تكاد تصل إلى حد الغرور ، ويشعر أنه ملك الموضة والأناقة فى العالم كله، ويريد من كل من حوله أن يتقمصوا دور الرعية ، فى تعاملهم معه ، وأن يمنحوه القدر الكافى من الاحترام

والاهتمام ، وهذا ما أخطأ فيه (حلمى) ، حينما واجه غطرسته بمثلها .

قالت وهى تتصنّع الحماس :

ـ ولكنك تستطيع اجتذابه مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجاباً فى ثقة ، وقال :

ـ أعتقد ذلك يا (شادن) ، فقد نجحت فى إزالة غضبه على الأقل ، وأنا واثق من أنه لن يعترض ، حينما أعرض عليه أمر الصفقة الجديدة .

كان حديث العمل هذا يثير فى نفسها الملل ، ولكنها ظلت تفتعل الحماس ، وهى تقول :

ـ لماذا لم تعرضها عليه إذن ؟

ابتسم ، وقال فى هدوء ورصانة :

ـ لم يحن الوقت بعد يا عزيزتى .. إن خمسة وتسعين فى المائة من الصفقات الرابحة تضيع ، حينما نعجز عن اختيار الوقت المناسب لإبرامها ، وأنا أعلم أننى قد أزلت ـ حتى الآن ـ سبعين فى المائة من غضب

(بيير) ، وهذا لا يكفى لعقد صفقة جديدة معه ، وإلا لحصلنا على شروط مجحفة ، أما لو انتظرت حتى أمحو تسعين فى المائة من هذا الغضب ، فسنحصل بالتأكيد على صفقة رابحة .

لم تستطع منع ذلك الحنق ، الذى تسلّل إلى صوتها ، وهى تقول :

ـ لماذا تذهب إليه يومياً إذن ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ـ هذه هى أصول اللعبة يا عزيزتى .

سألته فى حدة :

ـ أية لعبة ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ لعبة التجارة ، والصفقات الرابحة يا عزيزتى .. إننى أذهب إليه ، وأسأله المشورة فى أمور شتى ، وأشيد به فى كل مرة ، وبخبرته ، وعبقريته ، وأربح فى كل مرة جزءاً من ثقته واهتمامه ، حتى إنه لن يتردّد طويلاً ، عندما أعرض عليه أمر تلك الصفقة ، التى أحلم بها .

تنهّدت وهى تغمغم :

ـ فلندع الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينتهى كل ذلك بسرعة .

عقد حاجبيه ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟ .. لقد ظننت أنك ..

شعرت أنها ستخسر بعبارتها الأخيرة كل ما ربحته بأسلوبها الجديد ، فقاطعته وهى تربّت على كفه فى حنان ، وقالت فى لهجة ، أرادت أن تودعها كل حبها وحنانها :

ـ اسمع يا (أحمد) .. أنا أيضاً أحبك ، وأحاول أن أشاركك حياتك ومستقبلك ، فهما صنوان لايفترقان ، وأنا أشعر بالسعادة ونحن نجلس هنا ، وحدنا ، على ضوء الشموع ، نتحدّث فى حب و ..

بترت عبارتها بغتة ، حينما لاحظت أنه لا يستمع إليها ..

كان يحدّق بعيداً ، والاهتمام يملأ كل خلجة من خلجاته ..

وكان من الواضح أن هناك ما يجذب انتباهه حتى النخاع ..

وسألته فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (أحمد) ؟

أجابها فى انفعال :

ـ إنه هناك .. عند المنضدة التى تواجه باب الملهى .

سألته فى حيرة :

ـ من تعنى ؟

تضاعف انفعاله ، وهو يقول :

ـ (بيير) .. (بيير كاردان) .

ثم سحب يده من تحت أصابعها وهو يقول فى حماس :

ـ يا لها من فرصة !! لقاء خارج نطاق العمل .. لقاء عفوى أنيق .

حاولت أن تعترض فى تخاذل وهو يبادرها فى حماس :

ـ ولكن يا (أحمد) .. إننا ..

قاطعها فى حرارة ، وهو يسرع الخطا إلى مائدة ملك الأناقة :

- سأعود سريعاً يا حبيبتى .. أرسلى فى طلبى حينما يصل طعام العشاء .

اغرورقت عيناها بدموع القهر ، وهى تتابعه ببصرها يصافح (بيير كاردان) فى حرارة وشغف ، وهذا الأخير يدعوه لمشاركته المائدة ..

ولم يتردد (أحمد) ..

شاركه مائدته ، وانهمك معه فى حوار حار ، ونسى زوجته ..

نسيها كما يفعل دائماً ، كلما لاح العمل فى الأفق ..

وانحدرت دموع الحنق والألم على وجهها ..

لقد قهرها ..

حطم آمالها كلها دفعة واحدة ..

أفقدها الرغبة فى القتال من أجله ..

وبينما كانت تحاول تجفيف دموعها الغزيرة ، سمعت صوتاً رقيقاً ، يقول بالفرنسية :

- العشاء يا مدام .

تحجرت الدموع فى مقلتيها ، وسرت رجفة باردة

فى أوصالها ، واستدارت فى بطء إلى صاحب الصوت..

الصوت الذى لم تخطئه أذناها ..

ذلك الصوت المفعم بالدفء والحنان والرقة ..

والتقت عيونهما ..

وشحب وجهاهما ..

وتسمّرا ..

وغمغمت هى فى شحوب ورجفة :

- (عصام) ؟ !

ومضت لحظة من الصمت ، وهو يقف أمامها فى زى الفندق الرسمى ، ويحمل فوق يديه أطباق العشاء المعد له ولزوجها ، ووجهه يزداد شحوباً وامتقاعاً ..

ثم انحنى أمامها ..

انحنى فى احترام ، كما يفعل مع كل روّاد الملهى ، وقال فى صوت جاف ، وبالفرنسية :

- طعام العشاء يا سيدتى .

وفى عينيه ترقرقت دمعة ألم ..

* * *

٨ ـ آلام قلب ..

مضت لحظات من صمت ثقيل ..

ثقيل حتى أن (شادن) شعرت به يجثم على صدرها، ويعوق أنفاسها ..

و (عصام) يقف أمامها شاحباً، حزيناً ..

وعيناه لا تنظران إليها ..

عيناه اللتان التمعتا بدموع الألم والقهر .

وعاد يقول فى احترام :

ـ هل أضع العشاء يا سيدتى ؟

سألته فى حنان :

ـ كيف حالك يا (عصام) ؟

أجابها فى لهجة رسمية :

ـ فى خير حال ياسيدتى . هل أضع العشاء ؟

اغرورقت عيناها بدمعة صامتة، وهى تقول فى صوت مختنق :

ـ ضعه .. ما دام يؤرقك إلى هذا الحد .

أخذ يصف أطباق الطعام أمامها فى رصانة، دون أن يلتفت إليها، وراقبته هى لحظة، ودموعها تنحدر فى هدوء على وجنتيها، ثم سألته فى همس :

ـ لماذا لم تخبرنى أنك تعمل هنا ؟

أجابها فى حزن ملموس :

ـ وبِمَ كان سيفيد ذلك ؟

كان قد انتهى من صف الطعام، فاعتدل مستطرداً بنفس اللهجة الرسمية :

ـ أهناك خدمة أخرى يمكننى تقديمها ياسيدتى ؟

قالت فى حنان :

ـ اجلس يا (عصام) .. أريد أن أتحدّث إليك قليلا .

ارتجفت شفتاه، وكأنه يهمّ بالبكاء، وغمغم فى ألم :

ـ محظور على العاملين مجالسة السادة يا سيدتى .

وضغط حروف كلمة (السادة) متعمّداً، وكأنه يؤكد لها ذلك الفارق، الذى تبين له بينهما، فقالت فى ضيق :

ـ إننا صديقين يا (عصام) .

غمغم وهو يطرق برأسه :

ـ ليس فى أثناء العمل . فإدارة الفندق حازمة فى مثل هذه الأمور :

قالت فى حنق :

ـ فتذهب إدارة الفندق إلى الجحيم .. إنها حرية شخصية .

أجابها فى ألم :

ـ حرية لك وليست لى . فأنا أحتاج إلى هذا العمل ، وسيكون من العسير أن أحصل على عمل مثله .

ثم عاد ينحنى فى احترام ، ويستطرد :

ـ هل يمكننى الانصراف يا سيدتى ؟

قالت فى عصبية وحزن :

ـ اذهب يا (عصام) . مادمت تكره رؤيتى إلى هذا الحد .

تردد لحظة أمام حزنها ، وتدفق الحنان فى عينيه . ثم مال نحوها ، وهمس فى ارتباك :

ـ سأحصل على إجازتى الأسبوعية بعد باكر .. الأحد .

تهللت أساريرها ، وهمست فى لهفة :

ـ سأنتظر .

ابتسم فى حنان ورقة ..

وابتسمت فى أمل وسعادة ..

ثم أسرع ينصرف من أمامها ، وتركها لذلك الفيض من مشاعرها ..

لقد أيقظت رؤية (عصام) كل مشاعرها نحوه .. أيقظت احتياجها إلى رقته وشاعريته ، وحنانه .. وحطّمت كل مقاومتها له ..

لقد باتت تشعر أن السعادة ستهب على حياتها بعد غد..

وغرقت فى بحر من الأحلام الوردية الناعمة ..

كانت تسبح فى هذا البحر الحالم ، حينما سمعت صوت زوجها ، يقول فى حماس :

– لقد باتت الصفقة قاب قوسين أو أدنى منّا ياعزيزتى .

انتزعتها عبارته من أحلامها ، وحطمت أمواج بحرها الوردىّ على صخرة الواقع ، وأيقظت خوفها ، وشعورها بالذنب والخيانة ..

وتطلّعت إليه فى دهشة وهو يجلس أمامها ، وارتجفت وكأنه ضبطها متلبسة بخيانته وشحب وجهها ، وكأنها تعترف بخيانتها ..

ولكنه لم ينتبه إلى هذا أيضاً ..

كان اقترابه من النجاح قد ولّد فى أعماقه فرحاً غامراً ، أنساه كل ما حوله ، ومن حوله

وأقدم على الطعام فى شهية ..

وأحجمت هى عنه وقد ضاعت شهيّتها

كانت تفكّر فى (عصام) ، وفى ذلك الموعد الذى سيضمهما مرة ثانية ..

واختلطت فى أعماقها مجموعة من المشاعر المتباينة ، المتضاربة ..

امتزجت فى أعماقها لهفة اللقاء المرتقب ببشاعة الخيانة والغدر ..

وعاد الخوف يملأ مشاعرها ، ويتضارب فى أعماقها ، وشعورها بالذنب يتضخّم ويتضاعف ، ويتعاظم ، حتى صار عملاقاً قوياً ..

وأحنقها أن (أحمد) لم يشعر بما تعانيه ..

لم يشعر بشحوبها وتوترها وارتباكها ..

لم يشعر حتى أنها لم تمس طعام العشاء ..

كانت فرحته باقتراب لحظة النصر تسيطر على كل مشاعره ..

وفى حجرتهما ، بعد انتهاء السهرة ، سألته فى توتر :

– هل ستتركنى وحدى غداً أيضاً يا (أحمد) ؟

ابتسم فى حنان ، وقال وهو يداعب شعرها الناعم فى رقة :

– لقد اقتربت الأمور من نهايتها يا حبيبتى .. يومان على الأكثر وينتهى كل هذا .

سألته فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ ألا يمكنك اختصارها إلى يوم واحد ؟

ابتسم ، وتحسس وجهها الفاتن بأنامله ، وهو يقول فى رقة :

ـ أنا أيضاً أحلم بانتهاء هذه المشكلة يا حبيبتى ، حتى يمكننا أن نتم شهر العسل فى هناءة وراحة وسعادة .

أراحت رأسها على صدره ، وترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تقول فى توسل :

ـ أرجوك يا (أحمد) . حاول أن تنهى كل شىء فى يوم واحد .

همس فى أذنها بحب :

ـ سأبذل كل جهدى يا حبيبتى . صدقينى . سأفعل المستحيل لاختصار المدة .

وظل هذا الأمل يراودها حتى غادرها كعادته فى الصباح التالى ..

كانت تأمل أن ينجح فى إنهاء هذه الصفقة .. وإنهاء حيرتها وعذابها ..

كانت تشعر أنها أصبحت أضعف من أن تقهر مشاعرها تجاه (عصام) ..

وكانت تحتاج إلى مؤازرة ..

إلى قوة تمنعها من الوقوع فى حب رجل آخر ..

إلى زوجها ..

وظلت تجوب حجرتها طيلة اليوم ، وتدعو الله أن يوقّع (أحمد) عقد الصفقة هذا اليوم ..

ولم تحاول الخروج من حجرتها ، وكأنها تخشى أن تلتقى بـ (عصام) ، وتفقد أمام رقته وشاعريته وحنانه آخر حصون مقاومتها ..

وعاد (أحمد) فى المساء ..

واستقبلته فى لهفة وأمل ، وهى تهتف :

ـ هل أنهيت الصفقة ؟

انهارت آمالها ، حينما هزّ رأسه نافياً ، وقال فى ضيق :

ـ لم يمكننى ذلك يا عزيزتى ..

ثم أردف فى حرارة :

- ولكننى واثق من توقيعها غداً بإذن الله و .

لم تستمع إلى باقى عبارته ..

لم تعد تشعر بجدوى ذلك ..

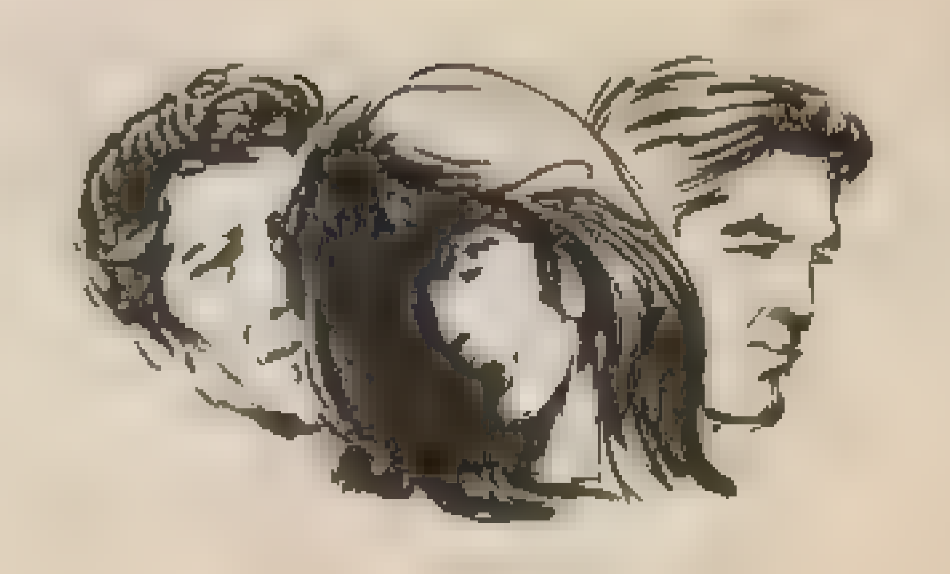
لقد اختار لها القدر الطريق ..

اختار أن يهبها آلام القلب ..

وستمضى فى الطريق الذى شقه القدر ..

ستمضى فيه إلى النهاية ..

* * *



٩ - موعد حب ..

سرَت ارتجافة فى جسد (شادن) ، وهى تراقب (أحمد) ، الذى ارتدى ثيابه على عجل كعادته ، وتركه بقبّل وجنتها تلك القبلة الآلية ، قبل أن يسرع إلى لقائه المعتاد مع (بيير كاردان) . وظل بصرها معلَّقًا به حتى أغلق الباب خلفه ..

مرّت لحظة تصلبت فيها كتمثال من المرمر ، وهى تحاول إثناء نفسها عن هذا اللقاء ، إلا أن مقاومتها لم تفلح هذه المرة ...

لقد كانت ترغب فى هذا اللقاء حتى الأعماق ..

كانت تشعر أنها فى مسيس الحاجة لجرعة من حنان (عصام) ورقّته ..

إنها تتلهّف للشعور بأنها كائن حىّ ، له مشاعره وأحاسيسه ..

و (أحمد) يصرّ على منحها شعوراً عكسيًّا ..

إنها تشعر معه وكأنها مجموعة من أرقام عمله ..

حتى حينما يغازلها ، لا يمكنه التخلى عن أرقامه ..

إنه يضع نسبة مئوية لجمالها ورقتها ، وأخرى لحنانها ونعومتها ، وثالثة .. ورابعة ..

إنه لا يجيد الحديث إلا بالأرقام ..

ولقد أصبحت تمقت هذا الأسلوب ..

وعقدت فى أعماقها مقارنة بينه وبين أسلوب (عصام) الشاعرى ..

عقدت المقارنة ، وهى ترتدى نفس الثوب الأزرق ، الذى رآها فيه (عصام) لأول مرة .

وتركت نفسها بلا زينة ، وعقصت شعرها ، على النحو نفسه ، خلف رأسها ، وتركت خصلته الشبيهة بذيل الحصان تنسدل على ظهرها فى رقة ونعومة .

كانت تبدو على نفس النحو ، الذى رآها فيه (عصام) فى لقائهما السابق ..

ولكن وجهها كان هذه المرة شاحباً .. وجبينها مكتظ بالفرنكات التى تركها لها (أحمد) ..

وبدت شديدة الارتباك ، وهى تقف أمام الفندق..

لم تكن تعلم كيف ستلتقى بـ (عصام) ، ومتى ؟

لقد اتفقا على اللقاء فى عجلة وسرعة ، حتى أنها لم تفكر فى كيفية اللقاء .

ولم تنتبه إلى ذلك حتى هذه اللحظة ..

وبينما هى غارقة فى حيرتها وقلقها ، سمعت من خلفها صوته الرقيق ، وهو يهمس :

ـ تماماً كما رأيتك أول مرة .

استدارت إليه فى لهفة ، وتألقت عيناها فى مرح ..

كان هو أيضاً يرتدى الزى نفسه ، الذى رأته فيه أول مرة ..

السترة الجلدية ، والقميص الأبيض ، والسروال الأمريكى الأزرق ..

وشعرت وكأنهما لم يفترقا منذ لقائهما السابق ..

وغمغمت فى حنان :

ـ كيف حالك ؟

ابتسم وهو يجيب بلهجته الحالمة :

ـ كيف حالك أنت ؟

ساراً متجاورين ، دون أن يتبادل أحدهما كلمة واحدة مع الآخر ..

ولم تشعر هذه المرة بمن حولها ..

لم تلتفت إلى المعروضات الأنيقة ، التى تمتاز بها (باريس) ..

لم تكن تشعر إلا به ..

وهو أيضاً لم يكن يشعر إلا بها ..

طال صمتهما ، وهما يقطعان الشوارع فى خطوات رتيبة ، متجاورة ، حتى سألته فى صوت أقرب إلى الهمس :

– إلى أين نذهب ؟

أجابها فى همس مماثل :

– سنذهب إلى مكان بسيط ، لا يليق بسيدة مجتمع مثلك .

هتفت فى عتاب واستنكار :

– هل تصر على مخاطبتى بهذا الأسلوب ؟

عاد إلى صمته لحظات ، واكتسى وجهه ببعض الحزن ، وهو يقول :

– أليست هذه هى الحقيقة ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى ضيق :

– الحقيقة هى ما نصنعه بأنفسنا .

– الحقيقة لا يصنعها أحد ، وإلا ما كان اسمها حقيقة .. إنها الشىء الذى لا يمكن أن ينكره أحد .

– أنت مخطئ يا (عصام) ، لو أن الجميع لا ينكرون الحقيقة ، ما كانت هناك مشاكل فى هذا العالم .

– الحقيقة تفرض نفسها فى النهاية .

– هذا لو استسلمنا لها .

– لن تفيد محاربتها .

– بالعكس .. إننا بقتالها قد نصنع حقيقة جديدة .. حقيقة تناسب حياتنا .

– إن ما نصنعه لا يطلق عليه اسم الحقيقة ، إنه أشبه بذلك العالم الوهمى ، الذى تصنعه المخدرات فى حياة المدمن .. حقيقة زائفة ، تخدعنا ، وتحجب عنا الحقيقة الفعلية .

- أنت متشائم .
- بل واقعىّ .
- لماذا نصرّ دائماً على إطلاق صفة الواقعية على استسلامنا ؟
- ليس استسلاماً يا (شادن) .. إنه اعتراف بمسلمات الأمور .
- وما الذى يجعلها أموراً مسلمًا بها ؟
- الواقع.
- ولماذا لا نحاول تغيير هذا الواقع ؟
- هذا مستحيل .
- لا يوجد أمر لايمكن تغييره ، إذا ما توافرت الإرادة .
- إذا ما نجحنا فى تغييره يفقد صفة الواقع .
- وما هو الواقع هذا ؟

توقّف عن السير ، وتوقّفت بدورها ، والتفت إليها ، ونظر فى عينيها مباشرةً ، وقال :

- الواقع يا (شادن) هو أنك متزوجة ، وزوجك

رجل وسيم ، أنيق ، ثرى ، لا يجد المرء فيه عيباً واحداً . والواقع أيضاً هو أنى شاب عادى ، أقرب إلى الفقر ، يكدّ ستة أيام فى الأسبوع ، حتى يحظى بيوم واحد ، يمكنه الشعور فيه بسعادته ، وقطف ثمار عمله .

ارتجف صوتها ، وهى تغمغم :

- وماذا يعنى ذلك ؟

عاد إلى سيره ، وأبعد عينيه عن عينيها وهو يقول :

- يعنى الكثير يا (شادن) .

ثم ابتسم ابتسامة حزينة ، وأردف فى خفوت :

- لقد كنت تحملين أمس حُلىّ يكفى ثمنها لإنعاش أسرتى لأعوام كاملة .

غمغمت فى ارتباك :

- أهذا ما يثير حزنك إلى هذا الحد ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب بنفس الابتسامة الحزينة :

- كلاّ يا (شادن) .. إنها مجرد ملحوظة .

تمتمت فى ألم :

ـ ملحوظة جارحة .

غمغم فى ارتباك :

ـ إننى لم أقصد ذلك .. صدقينى .

ثم عاد يتوقف عن السير . ويقول فى هدوء :

ـ لقد وصلنا تقريباً .

تأملت فى المكان بعينيها فى اهتمام . وسألته :

ـ أين نحن ؟

أجابها فى هدوء :

ـ فى حى (الشانزليزيه) .. أشهر أحياء (باريس) .

ابتسمت ، وهى تقول :

ـ أتسمّى هذا مكاناً متواضعاً ؟

ابتسم ، وقال :

ـ إننا لن نجوّل فى (الشانزليزيه) ، بل سنذهب إلى مقهى صغير فيه .

سألته فى دهشة :

ـ مقهى صغير ؟! .. أتوجد مقاهٍ هنا فى (باريس) ؟

ضحك وهو يجيب فى مرح :

ـ بالطبع يا (شادن) . وهذا المقهى بالذات يعرفه كل المصريين هنا .

تألقت عيناها فى خجل طفولىّ . وهى تقول :

ـ إنك تثير فضولى .

ارتجف جسدها . وتصاعدت حمرة الخجل إلى وجنتيها ، حينما همس فى حب :

ـ وأنت تحضرين كل مشاعر الحب و أعماق يا (شادن) .

خفضت عينيها فى خجل وسعادة ، وخفق قلبها بين ضلوعها فى مرح . وتركته يلتقط كفها فى راحته ، ويقول فى همس :

ـ هيَّا بنا يا (شادن) سأنقلك إلى قطعة من مصر ، فى قلب (باريس) .

شعرت لحظة أنها مراهقة ، فى موعد حبها الأول ثم تذكرت (أحمد) ..

تذكّرت أنها امرأة متزوّجة ..

وسحبت أصابعها من كف (عصام) فى هدوء ،
ولم يحاول هو استبقاء كفها فى راحته على الرغم منها ،
وابتسم حينما قالت فى ارتباك :

ــ هيَّا بنا ..

واتجها إلى ذلك المقهى الصغير ، فى قلب (باريس) ..
اتجها إليه كعاشقين ، يسبحان موعد حبهما الأوّل ..

* * *



١٠ ــ حديث القلب ..

كان ذلك المقهى الصغير ، فى حى (الشانزليزيه) ، مفاجأة حقيقية لـ (شادن) ..

لقد كان يغصّ بالمصريين ..

حتى عمال المقهى أنفسهم ، كانوا من المصريين ..

عرفت كم كان (عصام) صادقاً ، حينما قال إنه سيذهب بها إلى قطعة من مصر ، فى قلب (باريس) ..

كان مجتمعاً مصريًّا صغيراً ، يعبق بالمرح ، والترابط ، والحب ..

ولقد شعرت (شادن) بسعادة جمَّة ، وسط هذا المجتمع الصغير ..

لقد استقبلها الجميع فى ترحاب وبساطة ، ولم تجد صعوبة فى الاندماج وسطهم ، والانضمام إلى مجتمعهم ..

وكان أغلبهم من الشباب ..

هذا يدرس فى (السوربون) ، وذاك يتلقَّى دروساً فى التمثيل ، وتلك تزور (فرنسا) بحثاً عن عمل ، وغيرهم .. وغيرهم ..

وهناك تناولت الأطعمة المصرية، والقهوة المصرية، وعاشت فى قالب مصرى خالص ..

ولقد أدهشها المكان جداً ، وزادت دهشتها حينما علمت أن كل مصرى يزور (باريس) يعرفه . ويذهب إليه ..

ومرّ الوقت سريعاً ، كما يحدث دائماً فى الأوقات السريعة ..

ووجدت نفسها مرة أخرى تسير إلى جوار (عصام)، فى طريق العودة ..

كان إعجابها بالمكان ما زال يملأ نفسها ، حينما قالت فى نشوة :

— إنه أجمل يوم قضيته فى حياتى كلها .. إننى أشعر بسعادة بالغة .

غمغم ، وهو يبتسم فى سعادة :

— هذا يسعدنى يا (شادن) .

قالت فى (حماس) :

— إنهم مجموعة رائعة .. قمة الترابط والتآخى ؟

أومأ برأسه موافقاً ، وقال :

— هذا طبيعى ، لأن غربتهم تجمع بينهم ، ولأنهم أقلية هنا ، وكل منهم يشتاق إلى بيته ، ووطنه ، ولقائهم معاً كل أسبوع يعيد إليهم دفء الأسرة ، وجمال الصداقة والرفقة .

سألته فى اهتمام :

— هل تأتى إلى هنا دائماً ؟

ابتسم وهو يقول :

— كل أسبوع .

سألته فى دهشة :

— ولكننا حينما التقينا فى المرة السابقة قلت إنك ..

قاطعها فى هدوء :

— كنت أكذب .

ضحكت فى مرح ، وقالت :

— يا له من اعتراف !!

أطرق برأسه ، وغمغم فى لهجة حزينة :

— إنه ليس اعترافى الوحيد يا (شادن) .

شعرت بقلبها ينبض فى قوة ، وارتجف صوتها .

وانتقل إليه حياؤها ، وهى تغمغم فى صوت أقرب إلى الهمس :

— وهل لديك اعترافات أخرى ؟

توقّف بغتةً . حتى أنها سبقته بخطوتين . قبل أن تتوقف بدورها ، وتلتفت إليه فى تساؤل . فأمسك كتفيها فجأة ، ونظر إلى عينيها الفيروزيتين ، وقال فى انفعال :

— (شادن) . لقد أحببتك منذ أول لحظة رأيتك فيها ، وهذا ما جعلنى أحرص على مغازلتك ، وأنا أظنك فرنسية ، ولم أكد أكتشف أنك مصرية حتى امتلأ قلبى بالسعادة والأمـــل ، وكان من الطبيعى أن أكذب ، حينما قلت إننى كنت فى طريقى لزيارة برج (إيفل) . لقد كنت أرجو — حينئذ — أن توافقى على مصاحبتى لك ، وهناك شعرت أننى — عـلى الرغم من تعارفنا القصير — أذوب عشقاً لك ، وأردت أن أصارحك .

ثم فوجئت أنك متزوّجة و ..

توقف دفعة واحدة . وعاد يسير دون أن ينظر إليها ، وسارت هى إلى جواره فى صمت ، وهى تشعر أن كلماته قد وجدت طريقها إلى قلبها ، وازدادت لهفتها إلى سماعه ، وعاد هو يقول :

— وحينما تركتنى ، شعرت أننى أتعس مخلوق فى العالم كله ، وكدت ألقى بنفسى من قمة (إيفل) ، لألحق بك عند قاعدته ، وأصبحت واثقاً من أنك قد حملت قلبى معك فى فرارك . وقضيت أسوأ أيام حياتى بعد ذلك ، وأنا أحلم بك فى يقظتى ومنامى ، وأدعو الله أن نلتقى مرة ثانية .

وابتسم ابتسامة حزينة ، وهو يردف :

— وأفرغت أحزانى وآلامى فى عملى ، وكافأنى رئيس العاملين بترقيتى من غسل الصحون إلى تقديم الطلبات فى ملهى الفندق .

صمت لحظة ، ثم استطرد فى صوت خافت حزين :

— وفى أول أيام عملى هناك ، رأيتك مرة ثانية ،

ولا أظن أننى كرهت رقية فى حياتى ، كما كرهت رقيتى فى تلك الليلة .

غمغمت فى أسى :

— لأنك رأيتنى ؟

أجابها فى ألم :

— بل لأننى وقفت منك موقف الخادم الذليل .

هتفت فى حرارة :

— أقسم لك أننى لم أشعر بذلك ، لقد أسعدتنى رؤيتك جداً .

ثم غمغمت فى خجل :

— لقد شعرت أنك قدرى .

شرد ببصره لحظة ، ثم قال :

— نعم .. إنه القدر.

عادا إلى صمتهما ، وهما يسيران متجاورين ، حتى عاد (عصام) يتوقف . وأشار إلى الفندق ، الذى أصبح على مرمى البصر منهما ، وقال فى ضيق :

— ها قد انتهت إذابة الفوارق بين الطبقات

يا (شادن) .. لقد وصلنا إلى الفندق ، وستعودين سيدة مجتمع ، وسأعود أنا مجرد خادم فى ملهى الفندق .

قالت فى ألم :

— لماذا تصر على استخدام هذه المصطلحات ؟

هتف فى سخط :

— لأنها الحقيقة .

لمست ذراعه بأناملها ، وقالت فى حنان :

— (عصام) .. أرجوك .

صاح فى لهجة تشف عن الألم والقهر :

— كلا يا (شادن) . لا أريد سماع كلمة فلسفية واحدة عن ماهية الحقيقة ، وعلاقتها بالإرادة البشرية . كل هذا لن يغير من واقع الأمور .. أنت متزوجة يا (شادن) ، وزوجك شاب رائع ، وكل ما نفعله خطأ يا (شادن) .. خطأ .

دمعت عيناها ، وهى تغمغم :

— لا تقل هذا يا (عصام) .

صاح فى ألم :

— لماذا ؟ .. هل تحاولين الفرار من الحقيقة ؟ ..
هل تحاولين تغليفها بغلاف من السكر ، كما تفعل شركات الأدوية بالأقراص ذات المذاق المرّ ؟

سالت دموع الألم من عينيها ، وهى تغمغم :

— حاول أن تفهمنى .

عضّ شفته السفلى ، وهو يقول فى قهر :

— ماذا أفهم ؟ .. لا يوجد ما يحتاج إلى الفهم يا (شادن) .. كل الأمور واضحة ..

ثم أردف فى حزم :

— لا ينبغى أن نتقابل مرة ثانية يا (شادن) . أبداً .

وقبل أن تنطق بكلمة واحدة ، اندفع إلى الفندق بخطوات سريعة ، أقرب إلى العدو ، وهتفت هى باسمه فى لوعة ، وحاولت أن تلحق به . ولكنه اختفى داخل الفندق ..

بكت طويلا . وهى تصعد إلى جناحها ..

بكت حبّها ، وأملها ، ومستقبلها ..

وفوجئت بـ (أحمد) داخل الجناح ..

أسرعت تجفف دموعها ، وتسأله فى حنق :

— ماذا حدث لتعود مبكّراً هكذا ؟

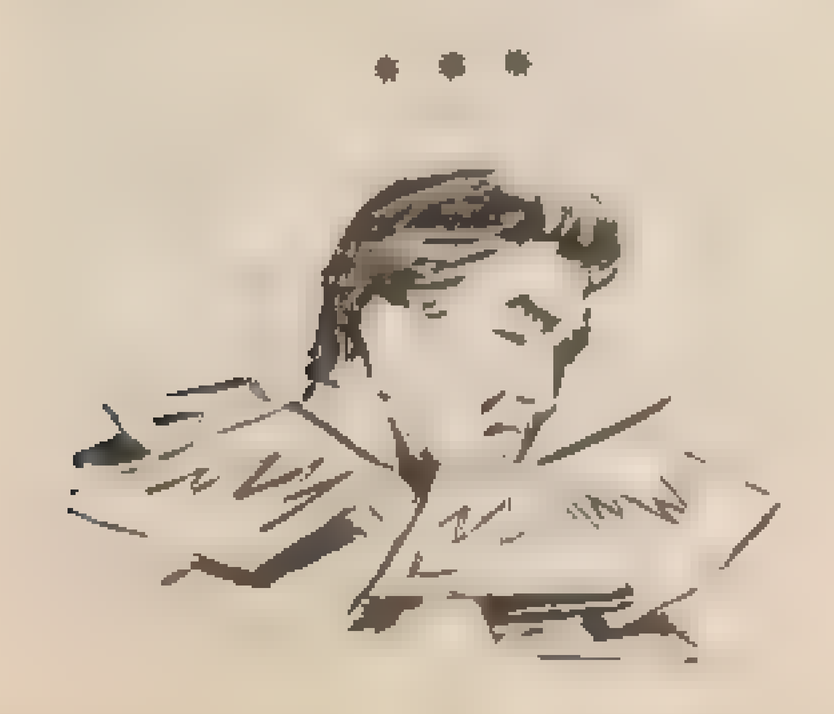
ضمها إلى صدره فى لهفة ، وهتف فى فرح وحماس :

— لقد وقّعت الصفقة مع (بيير كاردان) يا عزيزتى .. لقد انتهى كل شىء .. سيبدأ الآن شهر عسلنا الحقيقى .

تفجّرت الدموع من عينيها ، وسالت على سترته ، وهى تقول فى ألم :

— نعم يا (أحمد) . انتهى كل شىء .. كل شىء .

* * *



١١ ـ وضاع الحب ..

عجيبة هي دنيانا ..

غريبة هي مشاعرنا ..

لقد كانت (شادن) تبتهل إلى الله (سبحانه وتعالى) كل صباح ومساء ، أن ينتهي (أحمد) من صفقته ، حتى يمكنهما قضاء وقت سعيد ، وشهر عسل جميل في (باريس) ..

كانت تحلم بأن يصحبها إلى برج (إيفل) ، و(اللوفر) ، و (الشانزليزيه) ..

كانت تحلم بكل هذا ، وتتمناه ..

وحينما تحققت أمنيتها لم تشعر بأي قدر من السعادة ..

كان (عصام) قد استحوذ على مشاعرها كلها ، ولم يعد بقلبها مكان لـ (أحمد) ..

حتى وهو يضمها إلى صدره ، كانت تفكر في (عصام) ..

وعندما طلب منها (أحمد) في حماس ، أن تختار

مكاناً لقضاء سهرتها ، اختارت ملهى الفندق بلا تردد ، وهي تأمل رؤية (عصام) ..

ولقد بحثت عنه بعينيها في المكان كله ، وقلبها يرتجف في لهفة وترقب ..

ولكنها لم تلمحه أبداً ..

لم تنتبه إلى (أحمد) ، وهو يقص عليها في حماس وسعادة ، كيف أنه نجح في إقناع (بيير كاردان) ، وفاز منه بأكثر الصفقات ربحاً ، منذ أنشأ والده الشركة.

كان عقلها ، وقلبها ، وكيانها كله يبحث عنه ..

فكرت في سؤال أحد العاملين عنه ولكنها لم تجرؤ ، ولم تكن تستطيع ذلك في الواقع ، لجهلها بالفرنسية ..

والتفتت إلى (أحمد) بغتةً ، تسأله :

ـ هل تعلم أن نادل الفندق هنا مصري ؟

ارتفع حاجباه في دهشة ، وهتف في مرح :

ـ يا لها من مصادفة !! ولكن كيف عرفت ؟

ارتبكت ، وتضرَّج وجهها بحمرة الخجل ، وهي تغمغم :

- لقد تحدثت إليه أمس .. اسمه (عصام) .

تلفّتت حوله ، وهو يسألها :

-وأين هو ؟

قالت فى لهفة :

- لست أدرى .. إننى أبحث عنه .

ثم تزايدت حمرة وجهها ، حينما تنبهت إلى لهفتها الواضحة ، ولكن (أحمد) لم يلاحظ ذلك ، وابتسم وهو يقول :

- يمكننا أن نسأل أحد زملائه .

وصل انفعالها إلى ذروته ، حينما أوقف أحد العاملين ، وتبادل معه حديثاً بالفرنسية .

لقد كان هذا ما ترجوه ..

كانت فى أشد اللهفة لمعرفة أى شىء عنه ..

وأحنقها أن (أحمد) قد أنهى حديثه مع العامل فى بساطة ، وعاد يتناول طعام العشاء ، وهو يهزّ كتفيه ، وكأنما الأمر لا يعنيه ..

بذلت جهداً خارقاً للسيطرة على لهفتها ، وهى تسأله :

- هل يعلمون أين هو ؟

أجابها فى بساطة :

- إنه يوم إجازته الأسبوعية .

تراجعت فى مقعدها بحدة ، وأدهشها كيف أنها لم تنتبه إلى ذلك ؟..

لقد خدعتها لهفتها ، وصوّرت لها أنه يعتزم رؤيتها..

ونسيت تماماً أنه يوم إجازته ..

نسيت أنها كانت معه صباح اليوم فقط ، وكانت تعلم هذه الحقيقة ..

واغتصبت ضحكة مرحة ، وهى تقول :

- ياله من حظ !! سنلتقى به غداً إذن .

عاد (أحمد) يهز كتفيه فى لامبالاة . وقال فى بساطة :

- بل لن نلتقى به أبداً .

شحب وجهها ، وهى تسأله فى صوت مضطرب :

- ماذا تعنى ؟

أجابها فى بساطة ، وهو يتناول طعامه ، دون أن يرفع عينيه إليها :

- لقد ترك العمل هذا المساء .

انتفض جسدها فى قوة ، وغاصت الدماء من وجهها ، وهى تغمغم فى ذهول :

- ترك العمل ؟!

مطّ (أحمد) شفتيه ، وقال فى هدوء :

- ربما وجد عملا أفضل ، أو أن إجازته قد انتهت.

التصقت بمقعدها . وانكمشت فيه ، وفاضت الدموع من عينيها ، وهو يستطرد فى بساطة :

- هذا أمر مألوف بالنسبة للمصريين العاملين هنا ، هل تعلمين أن عشرين فى المائة من الطلاب المصريين ، الذين يسافرون فى الإجازة الصيفية للعمل فى أوروبا ، يختارون (باريس) بالذات ؟.. وأن ستين فى المائة منهم يعملون هنا دون تصريح عمل رسمى ، وأن البوليس الفرنسى يعيد ثمانين فى المائة من هؤلاء بسبب ...

تركته يستطرد فى حديثه المفعم بالأرقام ، وبكت فى ألم ..

لقد فرّ منها ..

غادر المكان كله ، حتى لا يلتقى بها مرة أخرى .

تخلّى عن عمله ، وحلمه من أجلها ..

ضحّى بحبه حتى لا يفسد حياتها ..

وشعرت بدموعها كالحمم ، تحرق عينيها ، وتلهب وجنتيها ..

كيف أمكنه أن يفعل ذلك ؟..

كيف تخلّى عنها ؟..

كيف تصوَّر أنه سينقذ حياتها بفراره ؟ ..

ألا يدرى أنه هو حياتها ..

هو أملها .. هو مستقبلها ..

وانتزعها من أفكارها صوت (أحمد) ، وهو يهتف فى دهشة وجزع :

- (شادن) .. ماذا بك ؟.. إنك تبكين .

أرادت أن تصرخ فى وجهه . وتصرح له بحبها لـ (عصام) ..

أرادت أن تؤذى مشاعره ، كما حطم أحلامها وشاعريتها ، بتجاهله لها فى شهر العسل ..

ووجدت نفسها تهتف فى حِدّة وعصبيّة :

— أريد العودة إلى مصر .. أريد العودة إليها فى أسرع وقت ممكن .

اتسعت عيناه فى دهشة ، وغمغم فى حيرة :

— لماذا يا (شادن) ؟.. لقد بدأنا لتوّنا شهر العسل الحقيقى .

تفجّرت الدموع من عينيها كالفيضان ، وصرخت فى ألم :

— أريد العودة إلى مصر ..

وانهار صوتها وهى تردف فى لهجة أقرب إلى التوسّل

— أرجوك .

ظهر الألم فى ملامحه ، وفتح فمه لينطق بكلمة ما ، ولكن يبدو أنه قد قرر فجأة التخلى عنها ، فقد استند إلى ظهر مقعده ، وعقد حاجبيه فى حزم ، وقال فى هدوء

— حسناً يا (شادن) .. سنعود إلى مصر فى الصباح الباكر .

* * *

١٢ ـ العـــودة ..

سالت الدموع من عينى (شادن) ، وهى تتطلع إلى (باريس) من نافذة الطائرة ، وهى تقلع من مطار (أورلى) ..

شعرت أنها تترك قلبها خلفها ..

وأن حياتها قد انتهت ..

و (أحمد) يجلس إلى جوارها صامتاً ..

لم يتبادل معها كلمة واحدة ، منذ أخبرها بموافقته على العودة إلى القاهرة ..

وكان يفكر فى السبب ، الذى دعاها لاتخاذ هذا القرار المفاجئ ..

لم يخطر بباله قط أن صفقته هى التى دفعتها إلى ذلك ، لأن عقله رفض هذا الافتراض بسرعة ، فقد رأى أنه من غير المنطق أن تثور (شادن) بسبب الصفقة ، بعد أن انتهت مشكلتها تماماً ..

وعجز عقله عن إيجاد تفسير مقنع ..

ولكن الدهشة ظلت تملأ كيانه ، وهو يحاول البحث عن تفسير ..

ولم تخفت دهشته أبداً ، ولم ينته تساؤله ، حتى هبطت الطائرة فى القاهرة ..

ولقد انتقلت دهشته إلى الجميع ..

وأطل من العيون تساؤل صامت حائر ، لم ينتقل أبداً إلى الشفاه ..

لم يحاول أحد أن يسأل لِمَ عادا ، ولم يحاول أحدهما شرح ذلك ..

وعادت (شادن) إلى منزلها الجديد الفاخر ، وقد فقدت اهتمامها به ..

لم يعد ذلك الأثاث الفخم يخلب لبها ..

لم تعد الشرفة المطلة على ضفاف النيل تبهرها ..

ولم يحاول (أحمد) ، لثلاثة أيام كاملة ، أن يسألها عن سرّ إصرارها على العودة .

وحاول أن يكتم لهفته لمعرفة السر فى أعماقه ..

وذات يوم .. كانت (شادن) تجلس فى الشرفة .

وتتطلع إلى القاهرة فى شرود ، وقد جعلها المشهد تتذكر لقاءها الأول مع (عصام) ، وكلماته الرقيقة الشاعرية ، التى تسللت فى حنان إلى قلبها ، وأيقظت مشاعرها ، التى أخمدها (أحمد) بأسلوبه العملى الجاف .

وسالت من عينيها دموع ذكراها فى صمت ..

وكانت الدموع تبلّل وجهها ، عندما شعرت بيد (أحمد) تربّت على كتفها فى حنان ، وسمعت صوته ، الذى يشف عن عذابه وحيرته ، وهو يسألها :

ــ ماذا حدث يا (شادن) ؟ .. ماذا أصابك ؟

لم تجبه ..

كانت تشعر أنها لو فتحت شفتيها فستنفجر فى وجهه ..

ستنبئه بكل سخطها تجاهه ..

ستمزّقه بنصل الحقيقة ..

ولكنه عاد يسألها فى إصرار :

ــ ماذا بك يا (شادن) ؟

أشاحت بوجهها عنه ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فقلّب كفيه فى حيرة ، وقال :

– لقد عجزت عن تفسير موقفك هذا يا (شادن) .. وتزداد حيرتى كلما أمعنت فى التفكير. وكلما حاولت إيجاد تعليل ، أجد أنه مقبول بنسبة عشرين فى المائة على الأكثر ، ومرفوض بنسبة الثمانين فى المائة الأخرى ، ولو أننى وجدت تفسيراً أميل إلى الاقتناع به بنسبة تسعين فى الـ ...

قاطعته صارخة فى غضب :

– كفى يا (أحمد) كفى . لقد سئمت أرقامك التى لا تنتهى هذه . سئمت ذلك الأسلوب الرقمى الجاف ، الذى تتعامل به فى حياتك كلها . إنك تحيا بالأرقام ، وتتنفس بالأرقام . وحتى حينما أحببت . لم تنس أرقامك حتى عبارات الغزل ، التى تلقيها على مسامعى ، عبارة عن مجموعات لا تنتهى من الأرقام

تراجع أمام ثورتها فى دهشة . وقال .

– ربما كان هذا أسلوبى حقًا ، ولكنه لا يعنى أننى مخلوق بلا مشاعر .

– أية مشاعر هذه ، التى تتحدث عنها ؟ هل فكرت فى نسبة صدق كلماتك هذه ؟

– إننى لا أنطق أبداً إلا بما أشعر به .

– تماماً كالكمبيوتر .. فهو لا يكذب أبداً ، لأنه يقيم كل شىء بالأرقام .

– وماذا يعيب الأرقام ؟

– إننى أمقتها .. أكرهها .

– ولكنك لا تستطيعين العيش دونها .

– العالم يصبح أجمل دونها .

– مستحيل .. إن الأرقام تملأ كل ركن من حياتنا .. شئنا أم أبينا .

– هل تحاول تعليل أسلوبك ؟

– كلاً .. ولكننى أحاول وضع الصورة كاملة أمام عينيك .

– أية صورة هذه ؟.. صورة رقمية ؟!

– نعم .. فالإنسان لا ينفصل أبداً عن هذه الصورة الرقمية .. إن تاريخ مولده نفسه مجموعة من الأرقام ،

تمثل يوم ،وشهر ،وسنة مولده،واحتفاله بأعياد ميلاده التصاقاً منه بالأرقام ، وتاريخ دخوله المدرسة لأول مرة هو نتاج الأرقام ، التي تعبر عن عمره ، ونجاحه وفشله فى دراسته يرتبط بالأرقام ، التي يحصل عليها فى اختباراته المختلفة ، وكلما تقدّم به العمر ، ازدادت الأرقام الضرورية من حوله ، فيكون عليه أن يذكر رقم بطاقته الشخصية ، وجواز سفره ، وترخيص مزاولته المهنة، ورقم رخصة القيادة ، وعنوان منزله . والأرقام التى يسجلها عداد المياه والإنارة ، ومولد أبنائه ، وأعمارهم ، وحتى حينما يلقى ربه، يرتبط هذا بمجموعة أخرى من الأرقام .

وجدت نفسها تصرخ فى غضب ، عند هذه النقطة من حديثه :

– هل تحاول إغاظتى ؟.. قلت لك إننى أكره الأرقام .

واندفعت من الشرفة إلى داخل المنزل ، و لحق هو بها شاحب الوجه ، وحاول أن يضمها إلى صدره . وهو يقول فى حنان :

– اهدئى يا حبيبتى .. إننى لم ...

دفعته عنها فى حِدّة ، وصاحت فى ثورة :

– لا تخاطبنى بلفظ (حبيبتى) هذا .. إنك تسرف فى استخدامه دون شعور ، حتى بات أشبه بواحد من أرقامك الجافة .

غمغم فى ألم :

– ولكنك حبيبتى حقًا يا (شادن) .

صرخت :

– كلاّ يا (أحمد) .. أنا زوجتك فحسب .. لقد اخترتنى كما تختار صفقاتك فتاة .. جميلة ، من أسرة مناسبة .. لقد كنت بالنسبة لك مجرد صفقة أخرى رابحة .

هتف فى ألم واستنكار :

– (شادن) !!.. كيف تفكرين بهذا الأسلوب؟

صرخت فى ثورة :

– لأنه الحقيقة .

جذبتها الكلمة فى قوة إلى حديثها مع (عصام) ..

تذكّرت محاولتها رفض الكلمة ، ومحاولاته تأكيدها ..
تذكّرت مجادلتهما الطويلة ..
وعادت الذكرى تسيل من عينيها الدموع .
وغمغمت فى ألم :
ـ إنها الحقيقة يا (أحمد) .
هتف (أحمد) فى استنكار :
ـ إنها ليست حقيقة .. إنها مجرد أوهام .
ـ بل هى الحقيقة .. الحقيقة العارية بلا زيف أو خداع .
ـ ومن الذى يقرّر أنها الحقيقة ؟
ـ أنا .
ـ بأى حق ؟
ـ بحكم معرفتى بها .
ـ وما أدراك أنك تعرفينها ؟
ـ أنا واثقة من ذلك .
ـ وأنا واثق من العكس .
ـ رأيك لم يعد يعنينى .

ـ المهم أننا اختلفنا ، واختلافنا يعنى أنه لا توجد حقيقة واضحة ، وأن الحقيقة هى ما نصنعه بأنفسنا ، فى أعماقنا .
شحب وجهها ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ..
إنها نفس العبارة ، التى استخدمتها هى ، فى حديثها مع (عصام) ..
نفس منطقها يأتى على لسان (أحمد) ..
وجاء صوتها متخاذلاً ، وهى تتقمص لسان (عصام) ، وتغمغم :
ـ لا أحد يصنع الحقيقة .
ـ هذا صحيح ، فنحن لا نصنع الحقيقة ، ولكننا نميل بها أحياناً إلى الجانب الذى يحلو لنا .
ـ إنها لا تكون حقيقة ـ حينئذ .
ـ بل تظل كذلك ، ولكننا نحن نراها من الجانب الذى نريده .
ـ خطأ .
ـ بل صحيح ، فلو أننى أمسك قطعة من النقد ،

وأنظر إليها من أحد وجهيها ، فى حين يقف أمامى رجل آخر ، ينظر إليها من الجانب الثانى ، فكلانا سيصف ما يراه فحسب ، وسيكون وصفانا مختلفين تماماً ، ولكن هذا لا ينفى وجود قطعة النقد نفسها ، ولايعنى أنها ليست حقيقية .

– مجرد فلسفة .

– بل واقع .. واقع ترفضينه أنت ؛ لأنك تصرّين على رؤية قطعة النقد من جانبك فقط .

حارت أمام منطقه ، وحاولت أن تواصل مجادلته، ولكنها عجزت ..

أعجزتها دموعها ، وأعجزها حنقها ..

وعادت تتذكر (عصام) ..

تتذكر رقته ..

شاعريته ..

حنانه ..

دفء كلماته ..

وغمغمت فى ألم :

– إننى لم أعد أحتمل يا ...

بترت عبارتها قبل جزء من الثانية ، من نطقها اسم (عصام) ..

لقد أعادت إليها مجادلتهما ذكراه ، حتى تصوَّرت لحظة أنها تتحدَّث إليه ..

وكادت تخاطب زوجها باسمه ..

كادت تعترف بخيانتها أمامه ..

وكرهت كلمة الخيانة ..

كرهتها لأنها تعذّبها ، وتذبح ضميرها وأخلاقها ..

واقترب منها (أحمد) ، وأراح كفه على كتفها فى حنان ، وغمغم :

– (شادن) .. من الواضح أن أعصابك متعبة للغاية .. ما رأيك لو عدنا إلى (باريس) و ..

صاحت فى خوف :

– كلاَّ .. ليس (باريس) ثانية .

عقد حاجبيه فى قلق ، وغمغم :

– لماذا ؟.. ماذا حدث فى (باريس) يا (شادن) ؟

أشاحت بوجهها عنه، وسالت دموعها فى غزارة، فاكتسب صوته بعض الحدّة، وهو يعود يسألها فى صرامة :

- ماذا حدث هناك يا (شادن) ؟

وأمسك كتفيها فى قوة، وهو يقول فى توتّر :

- ماذا حدث يا (شادن) ؟

غامت عيناها بالدموع، وشعرت بدقة موقفها، ولم تجد أمامها إلا أن تقول فى حِدّة :

- طلقنى يا (أحمد).

اتسعت عيناه فى ذهول، وتخلّى عن كتفيها، وتراجع وهو يغمغم :

- ماذا ؟!

صرخت فى ألم :

- طلقنى يا (أحمد).. طلقنى أرجوك.

* * *

١٣ - الصراع ..

« يطلّقك ؟!.. هل أصابك الجنون ؟ ».

صرخ والد (شادن) بهذه العبارة فى مزيج من الغضب والذهول، وشحب وجه والدتها، وهى تضرب صدرها بكفها، وتهتف فى لوعة :

- يطلقك ؟!.. لماذا ؟.. ماذا حدث ؟

اغرورقت عينا (شادن) بالدموع، وقالت فى حنق :

- هذا حق.

صاح والدها فى غضب :

- كلا.. إنه ليس حقك.. لا بدّ من سبب منطقى لهذا المطلب الغريب.

- الطلاق ليس مطلباً غريباً.. إنه إجراء طبيعى لإنهاء علاقة فاشلة بين طرفين.

- ولكنه أبغض الحلال، ولابدّ من أسباب قوية لحدوثه.

- إننى لم أعد أحتمل العيش معه.

ـ أهو شحيح ؟

ـ كلاّ .

ـ قاس ؟

ـ كلاّ .

ـ صفيق ؟

ـ كلاّ ، ولكن ..

قاطعها والدها فى ثورة :

ـ ولكن ماذا ؟.. إنه باعترافك شاب كريم ، حنون ، مهذّب ، وهو بالإضافة إلى ذلك وسيم ، أنيق ، ثرىّ ، ينتمى إلى عائلة معروفة .

ولوّح بذراعيه فى عصبية ، وهو يستطرد فى غضب :

ـ إننى أراه زوجاً مثاليًّا ، يندر أن يجود الزمان بمثله .

ـ ولكننى لا أحتمله .

ـ لماذا ؟

ـ لأنه جاف كالصحراء .

حدّق والدها فى وجهها بدهشة ، وهتفت أمها فى حيرة :

ـ ماذا تعنين يا (شادن) ؟

انطلقت تقول فى ضغط :

ـ إنه عملى للغاية .. لا مكان للعواطف فى حياته .. كل شىء عنده يقاس بالأرقام ..

عقد والدها حاجبيه ، وقال فى صرامة :

ـ هذا لا يكفى سبباً للطلاق .

قالت (شادن) فى حِدّة :

ـ إنه يكفى بالنسبة لى .

فوجئت بوالدها ينفجر فى غضب :

ـ كفى يا (شادن) .. إنك تتصرفين كمراهقة صغيرة ، لم تصل إلى مرحلة النضج بعد .. مراهقة لا تدرك شيئاً عن حقائق الحياة ، وواقع الأمور .

غمغمت فى دهشة :

ـ ولكن يا أبى ..

قاطعها فى ثورة :

– ولكن ماذا ؟.. إن زوجك شاب ممتاز .. بل أكثر من ممتاز ، وأنت ترفضين فيه ما أراه أنا سرّ امتيازه .. إنه شاب فى منتصف العشرينات من عمره ، وناجح إلى حد يصعب أن يبلغه كهل قضى حياته كلها فى العمل ، وهو محترم فى كل الأوساط الاقتصادية ، ويحوز ثقة الجميع ، ثم تأتين أنت وترفضينه لمجرد أنه رجل عملى ؟.. ماذا كنت تريدين إذن ؟.. هل كان يسعدك أن يترك عمله ، ويركع تحت قدميك حاملا قيثارته ، ليلقى على مسامعك كلمات الحب والغزل طيلة الليل والنهار ؟.. لو أنه فعل لفقد احترامى له ، ولعددته شابًا فاشلاً .. ثم من سيجنى ثمار عمله هذا ؟.. ألن تجنيا ثماره معاً ؟.. ألن يجنيها أبناؤكما من بعد ؟

عادت تغمغم فى ألم :

– أنت تتحدث مثله يا والدى .

صاح فى حدّة :

– لأن كلينا يتحدّث لغة العقل ، أما أنت

فتتحدثين لغة العاطفة فحسب .. والحياة يا (شادن) لا تسير بلغة العاطفة وحدها .

قالت فى حدّة :

– ولا بلغة العقل وحدها .

ثم تفجّرت بالبكاء ، وهى تستطرد :

– لقد تركنى وحدى فى أول أيام شهر العسل ، حينما لاحت له إحدى مشكلات عمله .

ضربت والدتها صدرها بكفها فى جزع ، وهى تهتف :

– يا إلهى !!.. تركك وحدك فى شهر العسل ؟!

أشار والدها إلى أمها فى صرامة ، طالباً منها الصمت ، ثم قال فى حزم :

– وهل تركك إلى فتاة أخرى ؟

هزّت رأسها نفياً ، فأردف فى صرامة :

– إنه لم يخنك إذن .

لم يدر والدها أنه بعبارته هذه قد أصاب – دون أن يدرى – أكثر حصون عنادها وهناً وتخاذلا ..

لم يدر أنه أصاب نقطة ضعفها فى الصميم ..

وامتقع وجهها ، وهى تردد العبارة فى أعماقها ..

نعم .. إن (أحمد) لم يخنها ..

هى خانته ..

هى وهبت قلبها لرجل آخر ..

هى خدعته ، وزيفت مشاعرها تجاهه ..

وفى محاولة أخيرة لمحو الكلمة من آلام عقلها ، غمغمت :

– الخيانة ليست المبرّر الوحيد للطلاق .

صاح والدها :

– وماذا تعرفين أنت عن الطلاق ؟.. هل تظنينه أمراً سهلاً بسيطاً ؟.. هل فكرت فيما يقوله الناس ، حينما يتم الطلاق بين عروسين ، لم ينقض شهر عسلهما بعد ؟.. هل تعلمين كيف تحيا المطلقة هنا ؟.. هل تعرفين كيف ينظر إليها المجتمع ؟

– ولماذا وافق المجتمع على زواجي بهذه السرعة ؟

– المجتمع يقبل بسهولة زواجاً سريعاً ، ولكنه

يرفض تماماً الطلاق السريع ، وينظر إليه نظرة مرتابة متشككة .

– إنها أفكار متضاربة .

– بل صحيحة ، فحينما يحدث الزواج السريع ، يظن الناس أنه هناك خطوات سبقت إعلان الزواج ، أو أن هناك تعارفاً مسبقاً بين العروسين ، فلا يبدو الزواج – حينئذ – لهم متسرعاً ، خاصةً إذا كان زواجاً كزواجك بـ (أحمد) .. لا تنقصه الإمكانات ، أما الطلاق المتسرع ، فإنه يثير الدهشة والشك ، ويسيء إلى أحد المطلقين ، أو كليهما .

ثم التقط سماعة الهاتف ، واستطرد فى صرامة :

– ثم إننى أحب أن أسمع رأى (أحمد) فى طلبك الطلاق هذا .

قالت فى حدّة ، وهى ترقبه يدير قرص الهاتف :

– لا شأن له بهذا .. إنه قرارى وحدى .

غمغم والدها فى سخط :

- الطلاق ليس قراراً فردياً .. إلا إذا كان قرار الزوج وحده .

هتفت فى غضب :

- هذا تعنّت .

قال والدها فى صرامة :

- إنه شرع الله (سبحانه وتعالى) .

ثم قال من خلال الهاتف :

- أريد التحدث إلى السيد (أحمد) مدير الشركة .

وانعقد حاجباه ، وهو يغمغم فى صوت يشف عن دهشته :

- متى ؟!.. هكذا فجأة ؟!

ثم وضع السمّاعة ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ، مما دفع والدة (شادن) إلى أن تسأله فى اهتمام :

- ماذا حدث ؟

أدار عينيه إليها ، وقال فى توتر:

- لقد رحل .

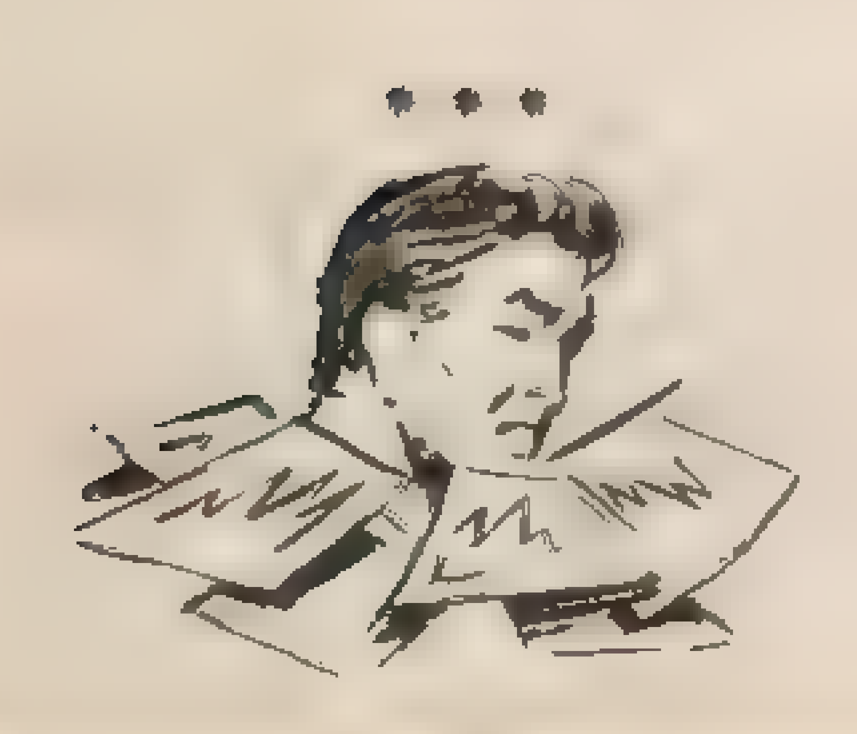
غمغمت (شادن) فى دهشة :

- رحل ؟!.. ماذا تعنى ؟

شبّك أصابع كفيه خلف ظهره ، وقال فى حنق:

- لقد ترك القاهرة ، وعاد إلى (باريس) صباح اليوم .

* * *



١٤ ـ وانقشعت الغيوم ..

لم تعد (شادن) إلى منزلها منذ ذلك اليوم ..

أسبوع كامل منذ سفر (أحمد) المفاجئ إلى (باريس)، وهي ترفض العودة إلى منزلها ..

لقد عادت إلى حجرتها القديمة في منزل والديها ..

وتضاعف غضبها، وسخطها تجاه (أحمد) ..

ها هو ذا يتركها مرة أخرى من أجل عمله ..

لم يبق إلى جوارها، حتى وحياتهما معاً تتعرض للخطر ..

حتى وهي تطلب الطلاق منه ..

كان يمكنها أن تغفر له تجاهله لها، حينما كانا في (باريس)، ولكنها لن تغفر له أبداً فراره منها الآن ..

وفي غمرة آلامها، وعذابها، وسخطها تذكرت (عزة) ..

صديقتها القديمة، التي تبثها مشاكلها دائماً، وتجد لديها الآذان الصاغية، والقلب الحنون المتفهم ..

وأسرعت تلتقط سماعة الهاتف وتطلب رقم (عزة) ..

لم تكد تسمع صوتها على الجانب الآخر للهاتف، حتى قالت في لهفة:

ـ كيف حالك يا (عزة)؟.. أنا (شادن).

سمعت صيحة فرح من الجانب الآخر، أعقبه صوت (عزة) المرح، وهي تهتف في حرارة:

ـ كيف حال العروس؟.. كيف حال زوجك الوسيم؟.. متى عدت من (باريس)؟

أجابتها (شادن) في توتر:

ـ منذ أسبوعين تقريباً.

سمعت شهقة دهشة، وهتفت (عزة):

ـ منذ أسبوعين؟!.. لماذا؟.. ألم تعجبك (باريس)؟

أجابتها (شادن) في خفوت:

ـ أريد رؤيتك الآن يا (عزة) .. أرجوك.

سألتها (عزة) في قلق:

ـ ماذا حدث يا (شادن)؟.. إن صوتك يبدو كما لو كنت تبكين.

غمغمت فى ألم :

ـ هذا صحيح .. أرجوك يا (عزة) .. أريد رؤيتك الآن .

هتفت (عزة) فى جزع :

ـ سأكون عندك بعد لحظات .

ولم تنقض ربع ساعة ، حتى كانت إلى جوارها ، وزاد جزعها ودهشتها ، حينما رأت عينيها الدامعتين ، وذبول وجهها الواضح ، فهتفت فى قلق :

ـ ماذا بك يا (شادن) ؟.. إنك لا تبدين كعروس فى شهر العسل .

أجابتها (شادن) فى صوت خافت شاحب :

ـ لقد طلبت الطلاق .

تراجعت (عزة) ، وهى تهتف فى ذهول :

ـ الطلاق ؟!.. ولكن لماذا ؟

وبلا وعى ، راحت (شادن) تقصّ عليها القصة كلها ..

قصّت عليها ما حدث فى شهر العسل ..

روت لهـا كل شىء عن لقائها بـ (عصام) ، وتجاهل (أحمد) لها ..

وأصغت إليها (عزة) فى اهتمام ..

كانت ملامح وجههـا تتفاعل مع كل جزء من قصتها ، فتبتسم ، وتبتئس ، ويرتفع حاجباها فى حنان ، ثم ينعقدان فى غضب ، ولكنها لم تقاطعها بحرف واحد ..

انتظرت حتى روت (شادن) كل شىء ، حتى عودة (أحمد) المفاجئة إلى (باريس) ، ثم ساد بعدها صمت تام ..

كانت (شادن) تبكى فى حرارة ، و (عزة) تتطلع إليها فى عطف وإشفاق ، ثم قالت فى هدوء :

ـ إذا أردت رأيى ، فأنت محظوظة يا (شادن) .

اتسعت عينا (شادن) فى دهشة ، وهتفت :

ـ محظوظة ؟!

أجابتها (عزة) :

ـ نعم .. محظوظة .. محظوظة لأن (أحمد) رجل

عملى ، لم تغلبه عواطفه ، ويتسرَّع بتطليقك حينما طلبت منه ذلك .. محظوظة لأن والدك رجل حكيم ، لم يضعف أمام كونك ابنته الوحيدة ، ويوافقك على طلب الطلاق ..

عادت (شادن) تهتف فى دهشة :

– كيف تقولين هذا يا (عزة) ؟ .. لقد أخبرتك بكل ما حدث و ..

قاطعتها (عزة) فى صرامة :

– وماذا ؟.. إنك تنظرين إلى الأمور من جانب واحد ، تماماً كما قال لك زوجك ، ولم تحاولى فهمه ، أو احتضانه كما تفعل أية زوجة عاقلة .

هتفت (شادن) فى حِدّة :

– إننى أنظر إلى الأمر من قريب ، من خلال معايشتى له .

– ربما كان هذا ما يمنعك من وضوح الرؤية .

– أى منطق هذا ؟.. إن الشخص القريب يرى الأمور أوضح .

– خطأ .. الشخص القريب يرى ما حوله فقط ، أما البعيد فيرى الأمور بصورة أشمل .. لاعب الكرة مثلا لا يرى إلا نفسه ، والكرة ، ومهاجميه ، والمرمى ، أما المشاهد الخارجى ، فيرى اللاعب ، واللاعبين الآخرين ، والملعب كله ، ويمكنه الحكم على مهارة الفريق بصورة أوضح .

– ولكن اللاعب وحده يستطيع أن يحرز هدفاً ، بالكرة التى بين قدميه .

– قد يصح هذا فى لعبة فردية ، أما فى الألعاب الجماعية فهذا مستحيل ، إذ أن المجموع كله يشارك فى إحراز الهدف ، والمجتمع عبارة عن لعبة جماعية ، يحاول كل فرد فيها إحراز هدف الفوز ، ولكن هذا لا يتأتى له أبداً ، إذا ما أصرّ على الانفصال بنفسه عن الفريق .

– إذن فأنتِ ترين أن (أحمد) لم يخطىء .

– إننى أرى أنك أنتِ أخطأتِ .

– لقد أهملنى فى أول أيام شهر العسل .

– كان مستقبلكما كله يتوقف على ما سعى إليه فى تلك الأيام ، وسوء الحظ وحده هو الذى اختار شهر عسلكما لمشكلته .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم أردفت (عزة) :

– لقد كان مضطراً لما فعل ، أما أنت فقد خنته باختيارك .

آلم لفظ (الخيانة) (شادن) ، فغمغمت :

– إننى لم أخنه بالمعنى المعروف .

– لقد وهبت قلبك لرجل آخر ، وأنت زوجته .

– ولكننى لم أسمح له حتى بلمسى .

– الخيانة ليست بالضرورة تماساً جسدياً .

– ولكن الحب شيء ينبع من القلب ، ولا يمكن للمرء مخادعة مشاعره .

أطرقت (عزة) برأسها ، وعاد الصمت يسود المكان تماماً ، قبل أن تستطرد (شادن) فى صوت خافت :

– لقد أحببت (عصام) بمشاعرى وقلبى فقط .. إننى لم أخن (أحمد) .

رفعت (عزة) عينيها إليها ، وقالت فى هدوء :

– خطأ يا (شادن) .. لقد خنت (أحمد) ، ولكنك لم تحبّى (عصام) أبداً .

عقدت (شادن) حاجبيها فى غضب ، وقالت فى حِدّة :

– ليس من حقك إصدار مثل هذا الحكم .. أنا أعلم بمشاعرى .

رفعت (عزة) حاجبيها فى حنان ، وقالت فى هدوء :

– حسناً يا (شادن) ، ولكننى أرجوك أن تستمعى إلىّ لحظات ، دون مقاطعة .

غمغمت (شادن) فى حِدّة :

– ماذا تريدين ؟

ازدردت (عزة) لعابها ، وتنحنحت ، وكأنها تهمّ بإلقاء محاضرة طويلة ، ثم أتى صوتها مفعماً بالحنان ، وهى تقول :

– إننا نعرف بعضنا البعض منذ زمن طويل

يا (شادن) ، وأنا أعرف أنك رقيقة الحس، عاطفية، شاعرية .. ولقد رأيت بنفسى كيف كنت تطيرين فرحاً ، حينما خطبك (أحمد) ، وكيف بدوت قمة فى السعادة ، يوم زفافكما .. ولقد كنت بطبيعتك تحلمين بحياة حالمة شاعرية ، ولكن القدر وضع أول العقبات فى حياتك فى أول أيام شهر العسل ، ولم يكن أمام (أحمد) فرصة للاختيار ، فإما أن يبادر بإنقاذ شركته ، مضحياً بأيام شهر العسل الأولى ، وإما أن يتجاهل ذلك، فينهار البناء ، الذى قضى والده عمره فى إقامته ، والذى سيرثه هو ، وتنالينه أنت ، وينعم به أبناؤكما فيما بعد ، ولقد اختار الصواب ، وبدلاً من أن تحاولى تفهم موقفه ، والتعاطف معه ، ثرت عليه ، واتهمته بإهمالك وتجاهلك ، وحينما قابلت (عصام) ، وجدت فيه صورة لأحلامك الشاعرية الوردية ، فتعلقت به ، وعطفت عليه حينما علمت أنه فقير ، يكافح من أجل العيش . كان فقره مهرباً من حياة الأرقام ، التى يحياها (أحمد) ، وتصورت أنك تحبينه .

أرادت (شادن) أن تعترض عند هذه النقطة ، ولكن (عزة) واصلت حديثها ، قائلة :

— كان هناك شعور غامض يشدك إلى (عصام)، ولقد فسرت أنت هذا الشعور بأنه الحب ، ولكنه لم يكن كذلك فى الواقع ، وإنما كان تلك الصورة ، التى تمنيتها ، حينما اختطف منك العمل (أحمد) .

تخاذلت رغبة (شادن) فى الاعتراض ، وأصغت إلى (عزة) فى اهتمام ، وهى تستطرد :

لقد كنت تتمنين لو أن (أحمد) لم يكن ثرياً ، حتى لا يختطفه عمله منك .. تمنيت لو أنه فقير شاعرى ، ورأيت فى (عصام) صورة لأمنيتك ، فتعلقت به .. تعلقت بصورة صنعها خيالك ، وخنت (أحمد) .

غمغمت (شادن) فى تخاذل :

— لم أخنه .

ابتسمت (عزة) ، وقالت :

— هذا صحيح بالنسبة للمرة الأولى ، ولكنه ليس كذلك فى لقائك الثانى مع (عصام) ، فلقد كان اللقاء

الأول وليد صدفة ، أما الثانى فبمحض إرادتك .

سالت الدموع فى صمت من عينى (شادن) ، فى حين تابعت (عزة) فى هدوء وحنان :

- ولو أنك راجعت نفسك . لوجدت أن (أحمد) أيضاً كان يعاملك بكل حنان ورقة طوال الوقت ، ولم يكد ينتهى من إنقاذ شركته ، وتحقيق الصفقة الناجحة ، التى تضمن لها الاستمرار ، حتى أولاك اهتمامه كله ، وطلب منك اختيار المكان الذى تريدين الذهاب إليه ، فى قلب (باريس) ، ولقد كان ينوى تعويضك حقًّا عن تلك الأيام ، التى أهملك فيها على الرغم منه ، ولكنك لم تمنحيه الفرصة .

أطرقت (شادن) برأسها فى خجل ، وقد بدأت أمور شتى تتضح فى ذهنها ، واستطردت عزة ، فى حنان :

- كان ذهنك كله مشغولا بـ (عصام) ، وبدأت أنت تهملين (أحمد) ، حينما لاحت لحظة انقشاع الغمة عن حياتكما ، ودون أن تتركى له الفرصة لإثبات حبه

لك ، طلبت منه العودة إلى القاهرة ، ولقد كان كريماً معك ، فأطاع رغبتك ، وتركك باعترافك ثلاثة أيام كاملة ، دون أن يسألك عن السبب ، ولم يذهب إلى عمله طوال هذه الأيام الثلاثة ، ولم يهملك ، ولكنك لم تشعرى بوجوده ، ولا بحنانه وعطفه ، وحينما حاول التقرب منك، ومعرفة سبب حزنك، ثُرت فى وجهه ، وطلبت الطلاق .

عاد الصمت التام يلفهما لحظات ، ثم كرّرت (عزة) فى هدوء :

- صدقينى يا (شادن) .. لقد أخطأت .

وبكت (شادن) ..

بكت كما لم تبك من قبل ..

بكت بدموع الألم والندم ..

لقد انقشعت الغيوم أخيراً ..

انقشعت من قلبها ، وعقلها ، وعينيها ..

تبينت أخيراً كيف كانت ظالمة مجحفة فى حق (أحمد) ..

كيف تعاملت معه بأنانية وفردية ..

لقد كان من واجبها أن تقف إلى جواره ، وتشدّ من أزره ، حتى تمضى الكارثة ، فيبقى إلى جوارها محبًا ، ممتنًا ، حنونًا ..

ولقد كان هكذا دائماً ..

إنه لم يجرحها بكلمة واحدة ، حتى عندما ثارت فى وجهه ، وحتى حينما طلبت منه الطلاق .

تذكّرت رقته وحنانه ، وحبه الذى لم تتبينه فى غمرة غضبها ..

وتضاعف شعورها بالندم ..

وغمغمت فى ألم :

ـ أنت على حق يا (عزة) ..

ربّتت (عزة) على كتفها فى حنان ، وهمست فى عطف :

ـ لم تضع الفرصة بعد يا (شادن) .

غمغمت فى حزن :

ـ لقد رحل (أحمد) .. عاد إلى (باريس) .

قالت (عزة) :

ـ إنه لن يمضى فيها عمره كله .. سيعود حتماً ، وسيكون عليك حينئذ أن تعتذرى له ، وتطلبى منه الصفح .

هتفت من أعماقها :

ـ سأفعل يا (عزة) .. ليته يعود .. ليته .

لم تكد تتم عبارتها حتى اندفعت والدتها إلى حجرتها فى فرح واضح ، وهتفت فى لهفة :

ـ لقد عاد (أحمد) من (باريس) يا (شادن) .. إنه هنا ، ويطلب رؤيتك .

تهللت أسارير(عزة) ، وهتفت (شادن) فى فرح :

ـ أين هو يا أماه ؟ .. أين هو ؟

تهللت أسارير الأم أيضاً ، وأسعدها تبدّل مشاعر ابنتها ، وأسرعت تدعو (أحمد) ، فى حين احتضنت (شادن) صديقتها ، وهتفت فى سعادة :

ـ لقد عاد يا (عزة) .. أشكرك يا صديقتى العزيزة .. أشكرك .

سالت دموع الفرح من عينى (عزة) ، وقبّلت (شادن) فى حنان ، وهى تلتقط حقيبتها ، قائلة :

– أعتقد أن مهمتى قد انتهت ، فستحتاجان إلى البقاء وحدكما الآن ..

وانصرفت (عزة) ووقفت (شادن) فى مكانها ترجف فى فرح ..

ستعتذر له ..

ستطلب منه الصفح ..

واختلج قلبها فى فرح ، حينما عبر باب حجرتها فى هدوء ، ووقف أمامها ساكناً ..

وتهللت أساريرها فى سعادة ، وأرادت أن تلقى نفسها بين ذراعيه ، ولكنه حطم لهفتها دفعة واحدة ، وأسقط قلبها بين قدميها ، حينما قال فى هدوء ، وبلهجة مهذّبة :

– لقد قابلت (عصام) .. وعرفت منه كل شىء .

* * *

١٥ – وداعا أيها الحبيب ..

هبطت عبارة (أحمد) كالصاعقة فى قلب (شادن) ..

دار رأسها ، وتخاذلت قدماها ، وشحب وجهها ، وسقطت جالسة على طرف فراشها ، وهى تقاوم تلك الغيبوبة ، التى حاولت السيطرة على عقلها ..

عقلها الذى تحوّل إلى عاصفة من التساؤلات ..

كيف علم بأمر (عصام) ؟ ..

كيف توصّل إليه ؟ ..

كيف أقنعه بسرد القصة ؟ ..

وكأنما قرأ (أحمد) هذه التساؤلات فى رأسها ، فقد قال فى هدوء :

– حينما عرضت عليك العودة إلى (باريس) تملكك ذعر لم أفهمه ، وعندما سألتك عن سبب هذا الذعر أشحت بوجهك ، وبكيت فى حرارة ، ولم أخطىء فهم ذلك .. كنت واثقاً من أنه هناك شخص ما فى (باريس) يكمن وراءه سرّ حزنك وألمك ، وطلبك الطلاق .

خفض عينيه لحظة ، وكأنه يخفى انفعالا عاصفاً ، ثم عاد يرفعهما إليها ، ويستطرد فى هدوء :

— وأنا أوافقك على أننى أملك طبيعة عملية ، وأسلوب تفكير منظم ، وهذا ما جعلنى أربط ذلك بالمصرى الذى كان يعمل فى ملهى (ريتز)، والذى جعلتنى أسأل عنه فى لهفة .. وتذكرت أنه يدعى (عصام) .

صمت لحظة أخرى ، ثم أردف :

— وسافرت إلى (باريس) .. أردت أن أعرف الحقيقة .

وظهر حزن عميق فى عينيه ، وهو يغمغم :

— وعرفتها .

ساد الصمت بينهما لحظة ، وأرادت هى أن تفسر له الأمر ، ولكنها عجزت عن النطق ..

كان حلقها يغص بدموعها ، حتى أنها لم تستطع النطق ..

وتكلم هو ..

واصل حديثه فى هدوء ، وقال بعد أن تلاشى حزن عينيه :

— كنت أعلم أن العثور عليه لن يكون أمراً سهلا ، وخاصة بعد ما غادر عمله فى (ريتز) ، ولكن هذا لم يدفع اليأس إلى قلبى ، بل جعلنى أكثر إصراراً على معرفة مكانه ، وكنت أعتمد على كونه أجنبى فى (باريس) ، وأنه يحمل بالضرورة تصريحاً بالعمل ، وإلا ما عثر على عمل جيد ، فى فندق معروف مثل (ريتز) .

مطّ شفتيه لحظة ، ثم عاد يستطرد :

— ولقد استغرق ذلك أسبوعاً كاملا .. تنقلت فيه بين مكاتب الشرطة الفرنسية ، وإدارات العمل .. وأخيراً عثرت عليه .. وكان قد انتقل إلى (مرسيليا) ، وعمل فى مطعم صغير هناك .

تنهّد ، قبل أن يردف :

— والتقينا .. ولقد أذهله اللقاء بمعنى الكلمة ، وكنت أتوقع أن ينكر كل شىء بالطبع .

غمغمت (شادن) ، وهى تبكى فى ألم :

— إننى لم أخنك .

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال فى هدوء :

– أعلم ذلك .. لقد أقسم هو أيضاً فى صدق وحرارة على ذلك ، وأكد أن كل ما بينكما لم يعد لقاءين ، ونزهتين بريئتين .. لقد صدقته .

أرادت أن تخبره أنها تحبه هو . وأن (عصام) لم يكن أكثر من صورة لرغبتها فى حبه ..

أرادت أن تقول له ذلك ، ولكن دموعها أعجزتها ..

وصمت هو أيضاً ..

صمت طويلا ، وهو يقاوم دموعه ، التى التمعت بها عيناه فى وضوح ، واختلج لها صوته ، وهو يقول :

– طبيعتى العملية أيضاً جعلتنى أفهم سبب ارتباطك به .. لقد ظننت أننى أهملك وأتجاهلك ، حينما أجبرتنى الظروف على تركك فى أول أيام شهر العسل ، لإنقاذ الشركة من خسارة رهيبة ، وأنا لا أحقد عليك يا (شادن) ..

عضّ شفته السفلى لحظة ، وكأنه يحاول منع دموعه ثم أردف :

– لقد آلمنى أن تصفى زواجى بك بالصفقة ، فصحيح أننى شخص عملى للغاية ، ولكن مشاعرى ليست كذلك .. لقد جذبنى جمالك فى البداية ، ولكنه لم يكن سبب زواجى منك ، ولم تكن أسرتك أيضاً هى السبب .

حاول أن يبتسم فى حزن ، وهو يغمغم :

– لقد كان حياؤك يا (شادن) .

ظهرت الدهشة فى وجهها ، فاستطرد فى حنان مباغت :

– نعم يا (شادن) .. حياؤك هو الذى جذبنى إليك ، وجعلنى أحبك ، فأنا أوقن تماماً أن الحياء دليل طهر الفتاة ، ونقاؤها ، ورقتها ، وأنا أحب هذه الصفات يا (شادن) .. أحبها مثلما أحببتك .

ثم عاد يمطّ شفتيه ، ويقول فى أسف :

– ولكن طبيعتى العملية وقفت فى طريق هذا الحب .

أرادت أن تخبره أنها تفهم ذلك ..

إنها لم تعد تنظر إلى الحب بتلك النظرة السطحية القديمة ..

لم يعد يعنيها كيف يعبر عن حبه لها ..

كان كل أملها أن يحبها فحسب ..

وعجزت هذه المرة أيضاً عن النطق ..

لم تدر لِمَ تصلّب لسانها فى حلقها ، ورفض الإفصاح عن مكنون قلبها ..

كانت تستمع إليه فقط ، وهو يواصل ، قائلا :

– لن يمكننى التخلى عن طبيعتى العملية هذه يا (شادن) ، فهى جزء من شخصيتى وتكوينى ، وسرّ نجاحى فى أعمالى .. ولا يمكننى فى الوقت ذاته أن أفرض عليك تقبّلها ، فلو أنك فعلت مضطرة فسيعنى هذا أننى شخص أنانى للغاية .. ولم يعد هناك سوى حل واحد .. حل يحقق لك ما أردت يا (شادن) .

ارتجف قلبها ، وأرادت أن تعترض ، ولكنه أردف فى حزن عميق :

– أنت طالق يا (شادن) .

نطق عبارته ، وأسرع يغادر الحجرة ، وتركها شاحبة ، متجمدة الأطراف ، أقرب إلى الموت منها إلى الحياة ..

وانهارت فوق فراشها ..

وانطلقت دموعها من عينيها كالفيضان ..

وصرخ قلبها المحطم المقهور :

– وداعاً يا (أحمد) .. وداعاً أيها الحبيب .

* * *



١٦ ـ وعاد الحب ..

تفجّر خبر الطلاق كالقنبلة فى المجتمع المحيط بالأسرتين ..

بكت والدة (شادن) حتى جفت الدموع من عينيها ..

وقاطعها والدها ، حتى أنه لم يخاطبها بكلمة واحدة منذ طلاقها ..

وتساءل الجميع عن سرّ ذلك الطلاق المفاجىء ..

ولكن (شادن) لم تنطق بكلمة واحدة ..

ولا (أحمد) ..

لزم كلاهما الصمت والعزلة طويلا ..

لم تكن (شادن) تغادر حجرتها إلا لماماً ..

لم تعد تتناول إلا ما يقيم أودها من الطعام ..

وذبل جمالها الفتّان ..

شحب وجهها، وغارت عيناها، وفقدتا بريقهما ..

حتى شعرها الكستنائى الناعم ، تركته يتهدّل على كتفيها بلا عناية أو اهتمام ..

أما (أحمد) ، فقد انغمس فى عمله ، لعله ينجح فى انتزاع أحزانه ..

ولم يحاول والده أن يسأله عن سر الطلاق ..

كان (أحمد) بالنسبة إليه كل شىء فى حياته ، بعد أن رحلت والدته ، وتركته له طفلا لا يتجاوز الخامسة من عمره ..

ولقد غرس فى نفسه الشخصية القوية ..

علمه كيف يعتمد على نفسه ، وكيف يتروّى فى اتخاذ قراراته ..

وكان يعلم أن (أحمد) ما زال يكنّ لـ (شادن) كل الحب ..

كان واثقاً من أن قرار الطلاق هذا لم يأت عبثاً ..

وقاوم رغبته الشديدة فى سؤال (أحمد) عن السبب ..

وذات يوم ، وهو يرى ابنه منهمكاً فى عمل شاق ، لم يعد يستطيع كتمان رغبته ، فسأله فى حنان وحذر :

ـ (أحمد) .. لماذا طلقت (شادن) ؟

ارتجفت شفتا (أحمد) وانعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

– لقد كان هذا لصالح الجميع يا أبى .

هزّ والده كتفيه ، وقال :

– ربما .. ولكنها كانت فتاة رقيقة مهذّبة ، ولقد أحببتها كثيراً .

ترك (أحمد) الأوراق التى يعمل بها ، وارتكن بجبهته على قبضتيه المضمومتين ، وهو يقول :

– أنا أيضاً أحببتها كثيراً يا أبتاه .

ارتفع حاجبا الوالد فى دهشة ، وغمغم فى حيرة :

– عجباً !! .. لماذا طلقتها إذن ؟

ترقرقت دمعة فى عينى (أحمد) ، أدهشت والده، فهتف فى جزع :

– يا إلهى !! هناك سر خطير يكمن وراء هذا الطلاق .

هزّ (أحمد) رأسه فى بطء ، وأسى ، وقال :

– ليس هناك من أسرار يا والدى .. كل ما فى الأمر هو أن التفاهم بيننا مستحيل .

وخدعته دمعة فارّة ، وسقطت فوق أوراق العمل ، وهو يستطرد :

– أنا شخص عملى كما تعلم يا أبى ، و (شادن) تطمح إلى شخص عاطفى شاعرى و ..

قاطعه والده ، وهو يضمه إلى صدره فى حنان :

– أنت شخص عملى ؟! .. هل صدّقت تلك الخدعة ، التى حاولت إيهام نفسك بها طويلا يا بنى ؟.. إن نجاحك فى عملك لا يعنى أبداً أنك شخص جاف المشاعر ، بارد الأحاسيس .. وإنما يعنى أنك شخص عقلانى متزن ، يمنح عمله نفس القدر الذى يمنحه لقلبه من الاهتمام ، والشخص الناجح فى عمله هو دائماً شخص عاطفى ، فمصدر نجاحه هو هذه العاطفة بالذات ؛ فهو يحب عمله ، ويخلص له ، والحب والإخلاص صفات عاطفية محضة .

ترك (أحمد) دموعه تسيل على وجهه فى صمت ، فى حين استطرد والده فى حنان :

– إننا نخطىء حينما نفصل الواقع عن العاطفة يابنى ، فنحن بشر ، ولا يوجد بيننا ملائكة أو شياطين ، ولسنا جماداً خالياً من العواطف .. إننا مزيج من العقل والعاطفة .

ثم ابتسم ، وغمغم فى حب :

– ثم إن الشخص العملى لا يحرص لعشرين سنة كاملة على زيارة قبر والدته ، ووضع باقة من زهورها المفضلة عليه ، كما تفعل أنت .

ابتسم (أحمد) فى حزن ، وغمغم :

– هـذا الحـديث متأخر يا أبى .. لقد انتهى كل شىء ..

هزّ والده كتفيه ، وغمغم :

– ربما لم يفت الوقت بعد .

سأله فى حيرة :

– ماذا تعنى يا أبى ؟

أجابه الوالد فى حماس :

– إن فترة العدّة لم تنته بعد ، ويمكنك ردّ (شادن) و ...

قاطعه فى حزم :

– كلاّ يا والدى .

سأله والده فى حنان :

– ولماذا يابنى ؟ .. إنك تحبها .

لوّح بكفه ، وقال :

– لقد طلبت هى الطلاق ، فمنحتها إياه ، وإعادتى لها الآن ستكون مفروضة عليها ، وأنا أكره ذلك .

غمغم الوالد فى حزن :

– ومن أدراك ؟ .. ربما كانت هى أيضاً ..

عاد يقاطعه فى ألم :

– أشكّ فى ذلك يا أبى .

قاطعهما صوت حنون رقيق ، يقول :

– أنت مخطىء بنسبة مائة فى المائة يا (أحمد) .

اتسعت عينا (أحمد) ،ورقص قلبه فى حب ولهفة، وهو يهتف :

– (شادن) ؟!..

امتلأت عينا الأب بدموع الفرح ، وهو ينقل بصره فى حنان ، بين اللهفة الواضحة فى عينى ابنه ، والحب العميق ، المطلّ من عينى (شادن) ..

واحتضن (شادن) فى حنان ، وقبّل وجنتها ، وهو يغمغم فى فرح :

– مرحباً بعودتك يا بنيتى .

ثم أسرع إلى باب حجرة (أحمد) ، وقال فى سعادة :

– سأنتظركما فى منزلكما ، مع والدى (شادن) ، لنحتفل معاً .

أغلق الباب خلفه ، ووقف (أحمد) و (شادن) يتطلعان إلى بعضهما البعض فى صمت ..

وارتفعت دماء الخجل والحياء إلى وجهها ، وابتسمت وهى تهمس :

– أما زلت تريدنى زوجة لك ؟

تطلع إلى حياتها الذى يحبه فى حنان ، وضمها إلى صدره ، وهو يتحسس شعرها الكستنائى الناعم فى حب ، ويهمس فى أذنها :

– كيف حالك ؟

دفنت وجهها فى صدره ، وهى تهمس فى حب :

– كيف حالك أنت ؟

همس فى حنان دافق :

– أحبك يا (شادن) .. أحبك يا زوجتى العزيزة .

همست ، وهى ترتجف فى حب وسعادة :

– وأنا أيضاً أحبك يا زوجى الحبيب .

ورفعت إليه عينيها المغرورقتين بدموع الحب والسعادة ، وأردفت :

– أحبك بنسبة مائة فى الـ ..

قاطعها بلمسة حانية رقيقة من أنامله لشفتيها الجميلتين ، وهمس وهو يبتسم :

– هل نسيت ؟ .. إنه الحب فحسب .. الحب بلا أرقام .

وعادت تدفن وجهها فى صدره ..

وعاد الحب ..

الحب بلا أرقام ..

* * *

[تمت بحمد الله]



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



د. نبيل فاروق

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



الحب بلا أرقام

تزوجت (شادن) (أحمد)، وكان زواجهما حديث مجتمع القاهرة كله، فكلاهما جميل المحيا، أنيق، من أسرة معروفة، ولكن (شادن) لم تحتمل أسلوب (أحمد) العمل، الذى فاجأها فى أيام شهر العسل الأولى، فى (باريس).. وفى قمة برج (إيفل) نسج الحب خيوطه بينها وبين (عصام)، وكان عليها أن تختار ما بين الحب والعمل، أو حب بلا أرقام.

قرش جنيه
٢٥ ١

الثمن فى مصر
ومايعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم